

الدوافع المادية للفتوح الأموية

(٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٤٩ م)

الدكتور

علي صدام نصر الله

جامعة البصرة - كلية التربية للبنات

المقدمة :-

تعد الفتوح - التوسع - واحدة من الأساليب التي تم بموجبها انتشار الإسلام . وهي الأسلوب المسلح في نشر الدين مقارنة بالأساليب الأخرى المتمثلة بدور الدعاة والتجار وغيرهم . ولا يعني إطلاق صفة الأسلوب المسلح على الفتوح ، اعتماد القوة في نشر الدين ، بل أنها تعني - حسب المنظور القرآني - الجهاد في سبيل الله لنشر الدين ، وذلك لا يكون إلا بمقارعة الظالمين الذين يقفون حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ، فيحولون بين شعوبهم وبين الاختيار الحر لمعتقداتهم . فالفتوح ينبغي أن تكون مبنية على الجهاد ضد الكفر والظلم الذي لا يعني جحود الخالق فعسب ، بل يعني الظلم بكافة أشكاله ، ليتم استبدال ذلك بمبادئ الإسلام القائمة على العدل والمساواة وتحقيق سعادة البشر وخيرهم ، ونبذ كافة أشكال الظلم والتمييز .

إلا أن هناك بعض الفتوح التي سميت خطأ بالفتوح الإسلامية ، قد ناقضت ما جاء به الإسلام ، ولا سيما تلك الفتوح التي حصلت في زمن الدولة الأموية (٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٤٩ م) التي استغلت هذه الطريقة في معظم الأحيان لتحقيق مصالح ضيقة خاصة بالأسرة الحاكمة والمقربين منها دون مراعاة لمصالح السواد الأعظم من المسلمين ، وكان من تلك المصالح هي المصالح المادية ، التي عبرت عن سوء استغلال الفتوح الإسلامية ، فكانت واحدة من بين أسباب عديدة أدت إلى سقوط الدولة الأموية ، ذلك السقوط الذي توج على أيدي العباسيين سنة (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) .

من المعروف أن الدعوة الإسلامية هي دعوة عالمية جاءت لهداية جميع البشر ، كما قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ^(١) ، ولم تكن دعوة خاصة بقبيلة من القبائل أو شعب من الشعوب . وحتى تضمن لنفسها تحقيق هذا الهدف ، أي نشر الإسلام بين كافة البشر ، كان لابد لها من اتخاذ عدة طرق ووسائل من بينها الفتوح . على أن الفتوح لم تكن الوسيلة الأولى والوحيدة في هذا الشأن ، بل سبقتها وسيلة أخرى أهم ، ارتبطت معها أيضاً ، تلك الوسيلة إنما هي نشر الإسلام عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، كما جاء في قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } ^(٢) . وهذا هو الأسلوب السلمي في نشر الدعوة الذي سار عليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرحلة المبكرة ^(٣) ، تلك المرحلة التي لاقى فيها ومن تبعه من المسلمين شتى صنوف التعذيب من قبل مشركي مكة الذين قاوموا الدعوة ، لأنهم وجدوا فيها ضرراً كبيراً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية ^(٤) . ولم يقدم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على محاربة المشركين ، إلا بعد أن أصبحت لديه القوة الكافية لمجابهتهم ، ولاسيما بعد الهجرة الى المدينة ، التي سبقها نجاحه في نشر الدعوة بين الأوس والخزرج من سكانها ، فاضطر الى قتال المشركين كما أمره الله تعالى : { أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } ^(٥) ، لأن في القتال ضرورة لحماية الدين من أعدائه المتربصين به والمتمثلين بدرجة أساس بمشركي مكة ، فضلاً عن اليهود الذين ما انفكوا يديرون المؤامرات ضد الدين الجديد وضد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحاولون اغتياله ^(٦) .

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع بقدر ما أردنا أن نوضح أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تمكن من خوض صراع مسلح ضد أعداء الدين من مشركي قريش وحلفائهم من القبائل الأخرى وضد اليهود في شبه الجزيرة ، حتى يتسنى له حماية الدين الإسلامي من مؤامراتهم الهادفة الى القضاء عليه . وقد نجح في تحقيق هذا الهدف ، وأصبحت السيادة للدين الإسلامي في معظم أنحاء شبه الجزيرة . وهذا يعني أن الدين الإسلامي لم ينتشر بحد السيف كما ذهب الى ذلك احد المستشرقين المغرضين ^(٧) ، بل اعتمد في بادئ الأمر والى حد كبير على أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يلجأ الى القتال إلا بعد أن وجد ضرورة ملحة لذلك ، ولأن نشر الدين عن طريق القوة يتعارض مع صريح قوله تعالى : { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } ^(٨) .

وإذا كان أحد المستشرقين قد وصف فتوح العهد الراشدي ، بأنها لم تكن قائمة على الإكراه ، فإنه من باب أولى أن تصدق هذه الصفة على عملية نشر الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . حيث ذكر غوستاف لوبون في هذا الشأن قائلًا : ((وكانت الطريق التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة ، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه وعرفوا كيف يبتعدون عن أعمال السيف فيمن لم يُسلم . وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعرفها وعاداتها ، مكتفين بأخذهم في مقابل حمايتها ، جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتها السابقين من الضرائب))^(٩) . ثم أشار أن العرب قبل أن يسعوا إلى فتح أي بلد كانوا يرسلون إليه رسلًا حاملين شروطًا للوفاق متمثلةة باعتراف الإسلام أو دفع الجزية أو القتال^(١٠) . وورود القتال كأحد الشروط لا يعني تناقض في الأمر ، بدليل وروده كآخر شرط من شروط الوفاق ، وكما قيل فإن آخر الدواء الكي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن استخدام أسلوب القتال كان بصفة أساس ضد الأنظمة الحاكمة ، حتى يُتاح المجال واسعًا أمام شعوبها لاعتراف الإسلام بحرية ، أي العمل على إزالة العراقيل من أمام طريق الشعوب والأقوام المضطهدة بغية تحريرها . ويصدق هذا الأمر بصورة واضحة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، حيث حاول الخلفاء الراشدون إكمال مهمته في نقل الإسلام إلى خارج حدود شبه الجزيرة ، فنجحوا في نشره في مناطق العراق والشام ومصر عن طريق عملية الفتوح . وعلى الرغم من أن العامل الديني كان فعالًا في هذا الشأن ، ولكن ينبغي أن لا تغفل أثر العوامل الأخرى كالعامل السياسي الذي حتم على المسلمين بعد نجاحهم في نشر الإسلام داخل شبه الجزيرة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الاصطدام بالقوتين الرئيسيتين في العالم حينذاك وهما الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية . فتمكنوا من القضاء على الأولى ، إلا أنهم أخفقوا مع الثانية لأسباب معينة^(١١) .

وإلى الرأي نفسه ذهب أحد الباحثين حين دلت على أهمية العامل السياسي مع عدم إغفال العامل الديني فأشار قائلًا : ((وقد استطاع الإسلام أن يوحد هذه الجموع (العربية) وينظمها ويدفع بها نحو مناطق الفتوح ، فاندفعت تلك الجموع تنشر السيادة الإسلامية لا الدين الإسلامي كما يُشاع ويُظن دون علم أو تمحيص ، يدل على ذلك أن جميع الموائيق والعهود التي كتبها قواد الفتوح لأهل البلاد المفتوحة لم تشترط اعتناقهم الإسلام ، وإنما خيروا بين هذا أو

دفعهم للجزية ، والتي لا تعدو أن تكون بمثابة تعويض عن الحماية التي يقوم بها المسلمون لأهل تلك البلاد . ولا يخفى أن الإسلام لا يعترف بالتبشير ولا يقر الإكراه في الدين ، كما وأن انتشاره تم بفعل الامتزاج بين الغالب والمغلوب ، غير أن هذا لا ينفي أن هنالك قوماً تقدموا للخدمة تحت ظل الإسلام حباً في الجهاد ورغبة في إعلاء كلمة الله))^(١٣) .

وفضلاً عن اتفاق هذا الباحث مع المستشرق غوستاف لوبون حول عدم قيام فتوح العهد الراشدي على الإكراه ، مع عدم إغفال العامل الديني في تلك الفتوح ، إلا أنه — علاوة على ذلك — فقد ركز على أهمية العامل السياسي حين أشار إلى دور الفتوح في توسيع سيادة الإسلام من خلال ضم البلاد المفتوحة تحت لواء الدولة الإسلامية ، ومن ثم فقد أعطى للفتوح دوراً مساعداً لا رئيساً في نشر الدين الإسلامي ، وذلك من خلال إتاحة الفرصة المناسبة والكفيلة في حدوث الامتزاج بين الفاتحين المسلمين وشعوب البلاد المفتوحة بعد إزاحة الأنظمة الحاكمة التي كانت تقف حجر عثرة في طريق ذلك الامتزاج . كما أن هذا الامتزاج لا يكون ذا قيمة ما لم يكن متفقاً مع تعاليم الإسلام ومثله السمحاء التي تدعو إلى حسن التعامل والعدل والمساواة ، ونبت كافة أشكال الظلم والتعصب والتمييز .

كما كان للعامل الاقتصادي دوراً في هذا الشأن أيضاً . ولكن دوره في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ثانوياً أو مساعداً ولم يكن دوراً رئيساً . فالعامل الاقتصادي وببساطة كان حينذاك وسيلة وليس غاية ، لأن الغاية هي نشر الإسلام ، ومن الأمور المساعدة على ذلك ، والتي كانت من نتائج الانتشار في بعض الأحيان هي العامل الاقتصادي أو القوة الاقتصادية التي كانت من عوامل انتصار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش وباقي أعدائه^(١٤) .

أما في العهد الراشدي فقد برزت أهمية العامل الاقتصادي في الفتوح منذ أيام أبي بكر ، الذي ذكر عنه البلاذري أنه لما فرغ ((من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة ، والطائف ، واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم ، فسارع الناس من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب))^(١٥) . وهذا يعني أن المسلمين في تلك الحقبة كانوا ينقسمون بشكل عام من حيث الدوافع التي حدت بهم إلى الإسهام في حركة الفتوح إلى فريقين رئيسيين : فريق كان دافعه دينياً متمثلاً بالجهاد في سبيل الله محتسباً وجهه الكريم والرغبة في نيل ثوابه وآخر كان دافعه مادياً اقتصادياً ، ويبدو أن

هذا الفريق كان يشكل الأغلبية متمثلاً بصفة خاصة بقبائل البدو التي تدفعهم الحاجة المادية ويحدوهم الأمل إلى الاستقرار في المناطق الخصبة شمال شبه الجزيرة كالعراق والشام . وقد عبر أحد المؤرخين المحدثين عن هذه الحقيقة المتمثلة باختلاف دوافع الفاتحين في العهد الراشدي فنذكر قائلاً : ((ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنة النعيم قد حجب لهم حومة الوغى فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي أزهروا بها الهلال الخصيب كان الدافع الذي حجب لهم القتال))^(١٥) .

إذن فعلى الرغم من أهمية العامل الديني في فتوح العهد الراشدي ، إلا أن العامل الاقتصادي أخذ دوره يتعاظم في سبيل خلق دولة إسلامية قوية اقتصادياً ، حتى يتسنى لها الوقوف ضد الدول الأخرى كالساسانية والبيزنطية^(١٦) . وقد ساعدت الفتوح على تحقيق هذا الهدف ، وترتب عليها نتائج خطيرة تمثلت بطغيان العامل المادي على نفوس قسم غير قليل من المسلمين ، بعد تدفق الغنائم ولاسيما من بلاد العراق وفارس ، فآدى ذلك بدوره إلى التحاق أعداد أخرى من عرب الجزيرة بالجيش الإسلامي في العراق وبلاد الشام ، من أجل أن يحظوا بنصيب من هذه الغنائم التي وصفت بكثرتها ، فكان لها دور في إغراء قسم كبير من المسلمين^(١٧) .

ولا نريد الإفاضة في أهمية العامل الاقتصادي في فتوح العهد الراشدي ، بقدر ما أردنا أن نوضح أن جذور أهمية هذا العامل في العهد الأموي بدأت تلوح علانها منذ العهد الراشدي . فما أن قامت الدولة الأموية واستأنفت فتوحاتها حتى كان للعامل الاقتصادي حصة الأسد في ذلك . وهذا الأمر لا يدل فقط على أهمية هذا العامل وطغيانه على عملية الفتوح الأموية ، بل يدل في الوقت نفسه على تناقض واضح وصريح بين نشر الدين الإسلامي عن طريق عملية الفتوح ، والعامل الاقتصادي الذي طغى على هذه العملية حتى أنه أصبح غاية لا وسيلة ، على عكس ما كان في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإلى درجة أقل في عهد الخلفاء الراشدين من بعده . ولكن في عهد الأمويين أصبح التناقض سافراً ، فهم وإن تبجحوا بنشر الدين الإسلامي من خلال عملية الفتوح ، إلا أن أعمالهم وسياستهم سواء فيما يخص الفتوح أو فيما يخص الجوانب الأخرى ، كانت مناقضة لهذا الزعم . ولو أردنا أن ندلل على صحة ذلك ، فإننا سوف لن نحتاج إلى كبير عناء لإثباته .

فتاريخ الأمويين حافل بالشواهد التي تؤكد ذلك ، بدءاً من قيام هذه الدولة الذي كان عن طريق القوة^(١٨) ، ومروراً بأسلوب الحكم الذي سارت عليه والمتمثل بالنظام الملكي الوراثي ، ضاربة بنظام الشورى والانتخاب عرض الحائط^(١٩) . حيث روي عن سعيد بن المسيب^(٢٠) انه قال : ((فعل الله بمعاوية وفعل ، فانه أول من أعاد هذا الأمر ملكاً))^(٢١) ، ((وكان معاوية يقول : أنا أول الملوك))^(٢٢) . كما أورد الأبشيهي رواية طريفة في هذا الصدد ، إلا إنها لا تخلو من مغزى ، ونصها : ((قيل اجتمع الناس عند معاوية ، وقام الخطباء لببيعة يزيد ، وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقنع ، فاخترط من سيفه شبراً ، ثم قال : أمير المؤمنين هذا ؟ وأشار الى معاوية ، ثم قال : فان يهلك فهذا ، وأشار الى يزيد ، ثم قال : فمن أبى فهذا ، وأشار الى سيفه ، فقال له معاوية أنت سيد الخطباء))^(٢٣) .

وكذلك طريقتها السياسية في حكم المسلمين بالقوة ، وقمع المعارضة التي استفحلت ضدها بوحشية لا نظير لها غير مبالية بدين أو أخلاق ، بعد أن هتكت حرمة الإسلام والمسلمين ورموزه البارزة ، حين أقدمت على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته في مجزرة شنيعة يندي لها جبين التاريخ^(٢٤) . وكذلك هتكت حرمة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وارتكاب أفظع الأعمال فيها^(٢٥) ، فضلاً عن ضرب الكعبة الشريفة وإحراقها^(٢٦) . وغيرها من الأعمال الشنيعة التي تم ارتكابها في عهد هذه الدولة من قبل خلفائها وولاتهم وقادتهم ، كل ذلك من أجل تثبيت عروشهم وحمايتهم حتى ولو كان ذلك عن طريق سفك دماء المسلمين وانتهاك حرمتهم . وقد كانت أعمالهم هذه بربرية بطبيعتها ، فاقوا بها عرب الجاهلية الذين كانوا في كثير من الأحيان أكثر احتراماً لمذهبهم لحرمة الكعبة الشريفة ، التي لم تنتهك في العهد الجاهلي^(٢٧) ، بل أنتهكت في العهد الإسلامي ومن قبل الأمويين الذين كانوا يدعون إنهم خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين ؛ وهذا التناقض الصارخ من أعجب العجائب وأغرب الغرائب . ليس هذا فحسب بل أن عرب الجاهلية كانوا أيضاً أكثر احتراماً لما تعارف عندهم من أخلاق وعادات وتقاليد .

أما في مجال الفتوح ، فقد كان الدافع الاقتصادي ذو أثر كبير بالنسبة لدولة ملكية قامت عن طريق القوة والاحتبال^(٢٨) ، وواجهت بعد قيامها معارضة شديدة ، الأمر الذي يثبت عدم شرعيتها . فكان لابد لملوك هذه الدولة أن يولوا الجانب الاقتصادي أهمية كبيرة من خلال عدة طرق كانت الفتوح أبرزها ، حيث أنها مكنتهم من الحصول على ثروات كبيرة لم يتسن لهم

الحصول عليها وبالمقدار نفسه من طرق أخرى^(٢٩).

ومن الأمثلة على ذلك الرواية التي تقول: ((وأغزى معاوية بن حديج^(٣٠) جيشاً في البحر الى صقلية في مائتي مركب فسيبوا وغنموا وأقاموا شهراً ، ثم انصرفوا الى أفريقية بغنائم كثيرة ، ورقيق ، وأصنام منظومة بالجواهر ، فاقتسموا فينهم . وبعث ابن حديج بالخمس الى معاوية بن أبي سفيان))^(٣١) . فضلاً عن الرواية التي تذكر أن موسى بن نصير^(٣٢) عند سماعه بخروج أقوام من البربر عن الطاعة في أقصى بلاد المغرب أرسل ((إليهم ابنه عبد الله فقاتلهم وظفر بهم وأتاه بمائة ألف رأس من سبيهم ثم وجه ولده مروان الى جهة أخرى فأتى بمائة ألف رأس ثم توجه هو الى جهة أخرى فأتى بمائة ألف رأس . قال الليث بن سعد^(٣٣) : فبلغ الخمس يومئذ ستين ألف رأس فلم يسمع بهذا في الإسلام))^(٣٤) . وذكر المقرئ أن موسى بن نصير في طريق عودته من الأندلس الى المشرق في سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م ارتحل ((بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال على العجل والظفر ، يقال إن حملتها ثلاثين ألف رأس من السبي))^(٣٥) . وكذلك ما روي من أن هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ / ٧٢٣-٧٤٢ م) قد نصب على أفريقية بعد وفاة بشر بن صفوان والياً جديداً هو عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي (١١٠-١١٤ هـ / ٧٢٨-٧٣٢ م) ((فلم يزل بها ، فأغزى الناس في البحر ، فغنم غنائم كثيرة ، فخرج الى هشام بأموال جلييلة وعشرين ألف عبد))^(٣٦) . وقد فصل ابن عبد الحكم في هذه الهدايا فقال : ((وكان فيما خرج به من العبيد والإماء ومن الجوار المتخيرة سبعمائة جارية ، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والذهب والفضة والآنية))^(٣٧) . وما رواه الرقيق القيرواني من أن والي المغرب عبد الله بن الحبحاب (١١٦-١٢٢ هـ / ٧٣٠-٧٣٧ م) قد ((بعث حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع غازياً الى المغرب ، فبلغ السوس الأقصى^(٣٨) وأرض السودان^(٣٩) ، ولم يقابله احد إلا ظهر عليه ، وأصاب من الذهب والفضة والسبي أمراً عظيماً ، ولم يدع قبيلة في المغرب إلا أداها ، فملؤا منه رعباً وخوفاً ،... وسبى من قبيلة من قبائل البربر يقال لهم مسوفة ، في طريق بلاد السودان ، نساء لهن جمال ، وكان لهن أشمان جلييلة لم ير مثلاً ورجع سالماً حتى قدم على ابن الحبحاب))^(٤٠) .

وفي دولة ملكية كالدولة الأموية ، كان لعملية الفتوح عدة أهداف أبرزها الأهداف السياسية والاقتصادية ، التي كانت تتداخل فيما بينها من اجل خلق دولة قوية سياسياً واقتصادياً ، حتى ولو كان في ذلك تعارضاً مع الدين ، لأن الأمويين حين قاموا بهذه الفتوح كان

غرضهم الرئيس من ذلك توسيع دولتهم كي تصبح إمبراطورية تضم عدة شعوب ودول^(٤١) ، لإشباع نهمهم الى السلطة وحب الزعامة ، الذي ترجع جذوره الى العهد الجاهلي ، وكان من أسباب صراعهم مع بني هاشم حول زعامة مكة ، ذلك الصراع الذي استمر جيلاً بعد جيل حتى انتقل الى العهد الإسلامي ، وأثمر في نهاية الأمر عن نجاح معاوية في تأسيس الدولة الأموية^(٤٢) .

وحين يكون حب الزعامة والسلطة لذاتها وليس لغرض أخلاقي أو ديني ، لابد أن يكون للعامل المادي الاقتصادي أهمية كبرى لدى الدولة تضاهي أهمية العامل السياسي السلطوي ، للترابط الوثيق بين الجانبين اللذين يعملان على تحقيق الأبهة والترف . حيث ذكر اليعقوبي : ((وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة ، واقطعها أهل بيته وخاصته ، وكان أول من كانت له الصوافي في جميع الدنيا ، حتى بمكة والمدينة))^(٤٣) ، وذكر أيضاً عن معاوية ((ورحل إليه عبد الله بن عمر يوماً ، فقال : يا أبا عبد الله : كيف ترى بنياننا ؟ قال : إن كان من مال الله فانت من الخائنين ، وإن كان من مالك فانت من المسرفين)^(٤٤) . أما ابن عذاري فيقول : ((وكان الخلفاء بالشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها الى عامل أفريقية ، فيبعثون لهم بالبربريات السنيات فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب مناهم بالكثير))^(٤٥) .

فهذه النصوص وغيرها تبين مقدار الترف الذي عاشه الأمويون من خلال امتلاكهم الثروات الطائلة والقصور الفخمة والأراضي الواسعة^(٤٦) . وقد عُرف عن معاوية (٤١-٦٠ هـ / ٦٦١-٦٧٩ م) - على سبيل المثال - الكلف بمناعم العيش والتهافت على صنوف المتع والملاذات ، كالزهو بالثياب الفاخرة والحليّة الغالية ، والاكل والشرب في أنية الذهب ، وسماع الأغاني واللهو^(٤٧) ، ولذا فليس من المستغرب أن تلجأ الحاجة الى إنفاق المال في أبهة الملك والإغداق على الأعوان الى إرهاق الرعية بالضرائب ونقض العهود مع أصحاب الجزية^(٤٨) .

وبذلك يكون الأمويون قد خالفوا القرآن الكريم الذي وقف موقفاً معارضاً للترف في عدة آيات بيّن من خلالها أثره في هلاك الأمم^(٤٩) . حيث وصف القرآن المترفين في إحدى آياته بأنهم كثيراً ما كانوا يقاومون الدعوات الدينية ، فيقول : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }^(٥٠) . وهذه الآية تنطبق على حال الدعوة الإسلامية في بداية ظهورها ، حيث وقف معظم أثرياء قريش ولاسيما الأمويين موقفاً معارضاً من هذه الدعوة

التي كان مما جاءت لأجله ، ضرب مصالحهم الاقتصادية ومحاربة نفوذهم الاجتماعي وتسلطهم على المستضعفين . وفي آية أخرى يصف القرآن المترفين بالتعصب لعقائد آبائهم ، حسنة كانت أم سيئة ، فيقول مخاطباً رسوله الكريم : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } * قَالَ أُولُو جُنُتِكُمْ بَاهْذِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } ^(٥١) . وهذه الآية تنطبق هي الأخرى على الأمويين الذين شابهت أحوالهم أحوال أسلافهم الجاهليين المشركين في حب الزعامة والترف ومعارضة الدين في الكثير من تصرفاتهم . لذا فليس غريباً أن يستمر الأمويون على شرب الخمر بعد أن أصبحوا خلفاء للمسلمين ، ولكن على اختلاف بينهم في المقدار ، وقد اشتهر منهم بصفة خاصة من ناحية المجاهرة والمداومة والإكثار ، يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣ م) والوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) ^(٥٢) .

وكما قيل فإن العيور على أشكالها تقع ، فالأمويون عندما تسلطوا على رقاب المسلمين حرصوا على اختيار مساعديهم من أهل الدنيا لا من أهل الدين ، كعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وزباد بن أبيه ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف الثقفي ^(٥٣) . ولواتخذنا معاوية بن أبي سفيان مثلاً ، لوجدنا أنه لم يكن صاحب علم أو دين ، بل كان صاحب جاه ونفوذ لذا فمن أحاطوا به كانوا من أصحاب الدنيا والمغنم ، ولم يكونوا أصحاب دين . وكانت وسائله في كسب الرجال تتمثل في المال والإغراء بالمناصب ، كما تتمثل في الدعاية المضللة التي تهدف إلى التمولي على الباطل الذي يمثلته ويرفع رايته . فالمال والمناصب كانت وسيلته لكسب من يعرفه وعاصره ، والدعاية كانت وسيلته لكسب من لا يعرفه من التابعين ^(٥٤) .

ولا يفهم من كل ما تقدم أن القرآن حين ذم الترف ، أراد أن يضيق على حياة المسلمين ، بل على العكس من ذلك ، إذ وردت آيات قرآنية عديدة تحث الإنسان على أن يحيا حياته بصورة معقولة ومعتدلة نسبياً ، حيث لا إفراط فيها ولا تفريط كما جاء في قوله تعالى : { وَابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } ^(٥٥) ، وكذلك { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . . . } ^(٥٦) . فالإسلام حارب الترف لكونه عامل فساد وهلاك للمجتمع ، حيث ينتج عن شيوعه عكوف على الدنيا وتعلق بها وابتعاد عن الآخرة .

وعوداً على بدء ، فإن ما ذكر عن ترف الأمويين يضعف من أهمية العامل الديني في الفتوح التي حصلت في عهدهم . لأنه سيؤدي بلا شك الى خلق تناقض بين واقعهم الذي كانوا يحيونه وبين مزاعمهم في نشر الدين الإسلامي . فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين عمل على نشر الدين الإسلامي ابتغى من ذلك هداية البشر ، ونشر العدل والمساواة بينهم ، والقضاء على كافة أشكال الظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيره مما يتعارض مع مبادئ الإسلام ومثله السمحاء ، التي انتهكت وبشكل كبير من الأمويين الذين نظروا الى مصالحهم بالدرجة الأولى ، وأهملوا مصالح غيرهم من المسلمين ولاسيما أعدائهم ومعارضيههم . فاستخدموا المال وسيلة لشراء الذم والمعارضين أي كساح ضد خصومهم . حيث روي بأن معاوية كان ((إذا بلغه من رجل ما يكره قطع لسانه بالإعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب ، وقدمه ، وكان أكثر فعله المكر والحيلة))^(٥٧) . وقد سار على سياستهم عمالهم وقادتهم الذين عمدوا الى إرضائهم عن طريق إرسال كميات كبيرة من الغنائم والسبي من المناطق التي فتحوها^(٥٨) . وقد ذكرنا فيما سبق عدة نصوص كأمثلة على ذلك ، ولا بأس من أن نضيف هنا أمثلة أخرى منها ما ذكره المالكي بقوله : ((ثم رحل حسان^(٥٩) بمن معه من السبي والغنائم والأموال الى عبد الملك بن مروان وكان معه خمسة وثلاثون ألف رأس من سبي البربر . وكان معه من الذهب ثمانون ألف دينار قد جعلها في قرب الماء حياطة عليها))^(٦٠) وأضاف ابن عبد الحكم أن عبد الملك قد سرر ((بما أورد عليه حسان من فتوحه وغنائمه))^(٦١) . وما ذكره صاحب أخبار مجموعة من ((إن الخليفة وولده كانوا يكتبون الى عمال طنجة في جلود الخرفان العسلية ، فتذبح مائة شاة فربما لم يوجد فيها جلد واحد))^(٦٢) . فكانت هذه الطريقة وما اقترن بها من ضخامة الغنائم وأعداد السبي المرسلة تعد مؤشراً على أثر العامل الاقتصادي المادي في تلك الفتوح المزعومة التي أصبح أمر الدين فيها ثانوياً .

والأدهى من ذلك أن بعض ولاية المغرب كيزيد بن أبي مسلم الذي عين سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م قد أساء معاملة سكان البلاد من البربر إساءة كان ثمنها حياته كما أشار الى ذلك ابن عذاري الذي تحدث عنه قانلاً : ((وكان ظلوماً غاشماً ، وكان البربر يحرسونه ، فقام على المنبر خطيباً ، فقال : ((إنني رأيت أن أرسم اسم حרסי في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها . فإرسم في يمين الرجل اسمه ، وفي يساره (حרسي) ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فإذا وقضوا على

احد ، أسرع لما أمر به)) فلما سمعوا بذلك منه ، أعني حرسه ، اتفقوا على قتله ، وقالوا : ((جعلنا بمنزلة النصارى)) فلما خرج من داره الى المسجد ، لصلاة المغرب ، قتلوه في مصلاه))^(٦٣) . كما حدث الشيء نفسه ولكن في عهد وال آخر هو عبيد الله بن الحبحاب الذي تولى ولاية المغرب سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م ، والذي يبدو انه لم يتعظ من مصير سلفه يزيد ابن أبي مسلم الذي دفع حياته ثمناً لظلمه ، وكانت نتيجة الظلم أهدح على الأمويين هذه المرة ، فهم إن كانوا خسروا في المرة السابقة احد ولاتهم ، فقد خسروا هذه المرة إحدى مناطق المغرب ، تلك منطقة المغرب الأقصى التي شهدت قيام أول ثورة كبيرة وخطيرة ضد الأمويين بعد استكمال فتح البلاد ، وكانت هذه الثورة فاتحة عهد تميز بتوالي الثورات المغربية التي أفضت في نهاية الأمر الى تشكيل دويلات مستقلة في تلك الرقعة من العالم الإسلامي^(٦٤) ، حيث أوضح ذلك التويري إذ أشار الى أن ابن الحبحاب قد استعمل ((على طنجة وما والاها عمر بن عبد الله المرادي فأساء السيرة وتعدا في الصدقات والقسم وأراد أن يخمس البربر وزعم انهم فيء للمسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله وإنما كانت الولاة يخمسون من لم يجب منهم الى الإسلام فانتفضت البربر بطنجة على عبيد الله وتداغت عليه بأسرها وذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة))^(٦٥) . كما ذكر ابن عساري ((وكان الخلفاء بالشرق يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها الى عامل أفريقية ، فيبعثون لهم البربريات السنيات . فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب ، مناهم بالكثير وتكلف لهم أوكلفوه أكثر مما كان . فاضطر الى التعسف وسوء السيرة . فحينئذ عدت البربر على عاملهم فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب))^(٦٦) . وقد أكد الناصري هذا الاستغلال الاقتصادي حين قال عن بربر المغرب الأقصى : ((وثقلت عليهم وطأة عمال ابن الحبحاب جملة بما كانوا يطالبونهم به من الوظائف البربرية مثل الأدم العسلية الألوان وأنواع طرف المغرب . فكانوا يتغالون في جمع ذلك وانتخابه حتى كانت الصرمة من الغنم تهلك ذبحاً لاتخاذ الجلود العسلية من سخالها ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما قرب منه فكثرت عيشتهم بذلك في أموال البربر فأجمعوا الانتقاض))^(٦٧) . وبعد أن بلغ هشام بن عبد الملك نبأ هزيمة جيشه في المغرب أمام الثوار البربر ومقتل أعداد كبيرة من أشرف العرب وفرسانهم في الموقعة التي سميت بموقعة الأشراف سنة ١٢٣ هـ / ٧٤٠ م ، قال : ((أقتل أولئك الرجال الذين كانوا يفدون علينا من المغرب ، أصحاب الغنائم ، قيل : نعم يا أمير المؤمنين . قال : والله لأغضبن لهم غضبة عربية ، ...))^(٦٨) .

وكيف لا يصبح أمر الدين ثانوياً في الفتوح الأموية ، وقد حُرف وانتَهك مراراً ، فكان أخرى بالأمويين أن يقوموا بفتح داخلي قبل إقدامهم على هذا الفتح الخارجي^(٦٩) ، أي إصلاح أوضاع الشعوب التي تسَلطوا عليها ، ونشر العدل والمساواة بينهم وتحسين أوضاعهم المختلفة ، لا ظلمهم وانتهاك حقوقهم والتعالي عليهم وتفضيل طبقة على أخرى^(٧٠) . وهذا أمر يعد من المتناقضات ، إذ كيف يقدموا على نشر الإسلام بين الشعوب الأخرى قبل أن يطبقوا تعاليمه ومبادئه على أنفسهم والشعوب التي حكموها ؟ الأمر الذي يدل على أن غايتهم من الفتوح الخارجية ليس لنشر الدين ، بل هي غاية اقتصادية وسياسية ، والدين إنما اتخذوه وسيلة لتحقيق ذلك^(٧١) . فكان ((كثيرون من بني أمية قد نالوا بعض أموال المسلمين أو أموال البلاد المفتوحة من طرق غير مشروعة كالاستيلاء ، أو عن طرق تبذرو مشروعة وهي ليست كذلك كالقطنان والهبات))^(٧٢) .

لذا نجد أن عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) قد حاول إعادة النظر في سياسة الأمويين الداخلية والخارجية ، ووضع برنامجاً يستهدف إجراء إصلاحات على هذين الصعيدين ، وقد نجح في تحقيق قسم منها ، كان من أبرزها أمره بإيقاف الفتوح^(٧٣) ، حين رأى إنها قائمة على ظلم واستعباد الشعوب ، وخشيته على المسلمين من التوغل في مناطق بعيدة ، فوجه اهتمامه نحو الداخل من خلال العمل على نشر الإسلام وتعميقه وليس توسيع سيادته فقط ، لأن الفتوح لا تعني بالضرورة إسلام كل أهالي البلاد المفتوحة فذلك أمر شخصي أو نسبي^(٧٤) . وقد ذكر أحمد شلبي أن الأسلوب النسلي الذي اتبعه عمر في نشر الإسلام القائم على مبدأ الحكمة والموعظة الحسنة ، قد مكّنه من استقطاب الكثير من سكان البلاد المفتوحة الذين لم يعتنقوا الإسلام من قبل على الرغم من دخوله بلادهم ، مكتفين بدفع ضريبة الجزية والدخول في ذمة المسلمين^(٧٥) . كما أورد أيضاً في مكان آخر كلاماً مشابهاً حين أشار إلى أنه على الرغم من توقف التوسع الإسلامي بعد سقوط دولة بني أمية ، وعدم تمكن الدولة العباسية من تحقيق تقدم عسكري في هذا الشأن ، لا بل عجزها عن الاحتفاظ بأملاك الأمويين ، إلا أن حركة انتشار الإسلام لم تتوقف ، بل واصل سيره بطرق أخرى كالسعاة والتجار إلى قلب أفريقيا ، كما انتشر في الملايو واندونيسيا^(٧٦) .

إذن وكما ذهبنا آنفاً أن الفتوح قد عملت على توسيع سيادة الإسلام ولم تكن تعني بالضرورة إسلام كل أهالي البلاد المفتوحة ، فمسألة اعتناق الإسلام هي مسألة شخصية أو

نسبية. بدليل وجود الكثير من أهل الذمة ممن يعيشون في ديار الإسلام كرعايا للدولة الإسلامية. كما أن هناك طرقاً أخرى لانتشار الإسلام، ربما لم تقل في أهميتها عن الفتوح، كالنداء والتجار الذين عملوا على نشر الإسلام بالطرق السلمية. ليس هذا فحسب بل أن القوى المعادية للأمويين والعباسيين كان لها دوراً أيضاً في نشر الإسلام في مناطق متعددة من العالم، كدعاة الخوارج الذين انبثوا بين القبائل البربرية في بلاد المغرب عاملين على نشر الإسلام بينها^(٧٧)، وكالادارة العلويين الذين كان لهم فضل إيصال الإسلام إلى مناطق السودان في غرب أفريقيا^(٧٨)، فضلاً عن نشره بين القبائل الوثنية واليهودية والنصرانية الضاربة في المغرب الأقصى^(٧٩). كذلك فقد أبدى أبناء عمومتهم الزيديين دوراً مماثلاً في المناطق الشرقية لاسيما في منطقة طبرستان والديلم الواقعة إلى الجنوب من بحر الخزر (قزوين) والتي اعتنق سكانها ممن بقي على الوثنية أو المجوسية الإسلام على المذهب الزيدي^(٨٠).

وكذلك أجرى عمر بن عبد العزيز بعض الإصلاحات الاقتصادية فيما يخص نظام الضرائب، كإلغائه ضريبة الجزية عن أسلم بعد أن أبقاها الأمويون، ورد على المتحججين بنقص الخزينة بأن الله قد ((بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جابياً))^(٨١)، وفي رواية أخرى ((إن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) داعياً، ولم يبعثه خاتناً))، كما ورد ذلك لدى الطبري^(٨٢)، الذي أشار إلى أن عمر بن عبد العزيز قد رد بهذا القول على والي خراسان الذي ابتكر حيلة تمكنه من معرفة صدق إسلام أهل الذمة في ولايته، الذين سارعوا إلى اعتناق الدين بعد أن أبطل عمر سياسة أسلافه الأمويين في إبقاء الجزية على من أسلم. وهذه الحيلة التي أراد بها ذلك الوالي التأكد من صحة إسلام أولئك الذميين إنما هي الختان كما أشارت إلى ذلك الرواية والتي جاءت لتؤكد حقيقة واضحة لا لبس فيها، أن الله قد بعث رسوله الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هادياً وداعياً إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يبعثه جابياً أو خاتناً. فالإسلام الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو دين رحمة ومساواة ولم يكن ديناً قائماً على استغلال الشعوب واستنزاف خيراتها، من خلال تحول معظم الغزوات الإسلامية في العهد الأموي إلى غارات للسلب والنهب، كما أدرك عمر هذا الأمر^(٨٣). وبذلك يكون قد شهد شاهد من أهلها. كما أن انتشار الإسلام كان عن طريق الهداية المبنية على القناعة الذاتية وليس عن طريق الإجبار أو

الاحتياط، كما غدا في العهد الأموي. حيث أورد ابن الجوزي في هذا الصدد رواية طريفة لا تخلو من منغزى، فنذكر قائلًا: ((كان نصراني يختلف إلى الضحاك بن مزاحم، فقال له يوماً: لم لا تسلم؟ قال: لأنني أحب الخمر ولا أصبر عنها. قال: فاسلم واشربها، فاسلم، فقال له الضحاك: إنك قد أسلمت الآن، فإن شربت حددناك، وإن رجعت عن الإسلام قتلناك))^(٨٤).

كما ألغى عمر بن عبد العزيز هدايا النيروز والمهرجان التي كان معاوية أول من قبلها اقتداءً بأكاسرة الفرس، وغير ذلك من الإجراءات^(٨٥).

إلا أن إصلاحات عمر كانت وقتية ارتبطت بخلافته القصيرة (٩٩-١٠١ هـ / ٧١٧-٧١٩ م)، وسرعان ما عاد الأمويون إلى سياستهم القديمة^(٨٦)، فكانت من أسباب سقوط دولتهم في النهاية على أيدي العباسيين^(٨٧)، الذين كانوا أحد العناصر المعارضة للأمويين، وقد تضمنت دعوتهم فضلاً عن دعوات غيرهم من المعارضين، كثيراً من الأمور الإصلاحية التي استندت إلى إصلاح الأوضاع الفاسدة المتمخضة عن حكم الأمويين. وكان قسم من هذه البرامج قد ركز على إصلاح نظام الضرائب التي كانت مجحفة وغير عادلة ومعارضة مع الدين كضريبة الخراج، والجزية التي طالما فرضها الأمويون على من أسلم من الشعوب الأخرى^(٨٨). ويُفهم مما ذكره ابن خلدون أن اشتطاط الأمويين في أخذ الخراج والجزية من بعض مسلمي ما وراء النهر^(٨٩)، قد أدى إلى ارتدادهم واستنجداهم بأعداء الإسلام من الترك، حيث ذكر إن أحد عمال الخراج في تلك المناطق قد ألح في أخذ الخراج، ((واستخف بفضل العجم والدهاقين. وأقيموا في العقوبات وحرقت ثيابهم، وألقيت مناطقهم في أعناقهم، وأخذت الجزية ممن أسلم. فكفرت الصفد وبخارى واستجاشوا بالترك))^(٩٠).

ولا بأس أن نذكر هنا بعض الأمثلة على برامج الثورات التي شهدتها العهد الأموي. حيث ذكر الطبري أن بيعة زيد بن علي التي بايع عليها الناس في الثورة على هشام بن عبد الملك والأمويين جاء فيها: ((إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد الظالمين، وإقفال المجبرين، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا))^(٩١).

كما خطب يزيد بن الوليد بن عبد الملك بعد ثورته على ابن عمه الوليد بن يزيد والتي انتهت بمقتله فقال: ((أيها الناس، إن لكم عليّ أن لا أضع حجراً على حجر، ولا لبنة على

لبنة ، ولا أكري نهراً ، ولا أكثر مالا ، ولا أعطيهِ زوجة ولا ولداً ، ولا أنقل مالا من بلدة الى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يُعينهم ، فان فضل فضل نقلته الى البلد الذي يليه ، ممن هو أحوج إليه ، ولا أجمركم في ثغوركم فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم ، فياكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ، وإن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر ، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كادناهم ((^(٩٢)).

لقد حوى النصفان السالفان جملة أمور اقتصادية مهمة ، كان من بينها دلالتها على عدم وجود عدالة في توزيع الغنائم على الفاتحين من أبناء المناطق الثغرية المواجهة للعدو ، حيث كانت حصتهم من تلك الغنائم قليلة ، لذهاب معظمها الى العاصمة . والأمر المهم الآخر الذي أشار اليه النصفان المتقدمان هو تجمير المقاتلة في الثغور ، أي إجبارهم على الإقامة الدائمة أو لمدة طويلة في المناطق الثغرية الحدودية . وكانت الدولة الأموية ترمي الى أغراض سياسية من وراء هكذا نوع من الإجراءات ، كما حدث في الحملة الضخمة التي أسند الحجاج قيادتها الى عبد الرحمن بن الأشعث^(٩٣) ، والتي كان هدفها رتبيل ملك الترك . فهي لم تكن سوى محاولة هادفة الى تشتيت المعارضة في مهمات قتالية مفتعلة^(٩٤) . ويرى شعبان : ((أن نقطة الضعف الكبرى في نظام عبد الملك والحجاج هي اعتماده الشديد على حروب الفتح كعلاج عام وشامل لجميع أمراض الإمبراطورية))^(٩٥) . وقد اقتدى الحجاج في ذلك بسلفه زياد بن أبيه الذي أرسل خمسين ألفاً من أبناء الكوفة والبصرة الى خراسان^(٩٦) ، رغبة في إبعادهم من أجل التخلص من شغبهم ومعارضتهم وما يثيرونه من مشكلات ، ولضرب المتمردين هناك في الوقت نفسه^(٩٧) . فهم أرادوا بذلك إشغال الجنود بمهمات قتالية كي لا يتحولوا الى أداة للعصيان والثورة ، ولا سيما عند توقف الغنائم . كما ابتغى الأمويون الغرض نفسه حين أشركوا البربر في فتح الأندلس^(٩٨) . ويبدو أنهم قد تعارفوا على اتخاذ هذا الإجراء منذ أيام عثمان بن عفان ثم معاوية بن أبي سفيان ، حيث كان من الأغراض المهمة لديهما في استئناف الفتوح هو إشغال الجماعات المعارضة^(٩٩) . ولكن هذا فيما يخص الأمويين ، إذ أن أول من تفضّل الى أهمية هذا العمل هو الخليفة الأول أبو بكر ، الذي كان يرى أن أحسن وسيلة لمعالجة انقسام العرب هي بتوجيههم الى البلاد الأخرى كي يتسنى لهم ممارسة عاداتهم في الحرب والقتال . ولم يلبث أن أصبح هذا العمل تقليداً سار عليه من جاء بعده ولا سيما الأمويين^(١٠٠) .

لقد كانت أهم ناحية تم التركيز عليها في تلك البرامج الثورية هي المساواة التي أكد عليها الإسلام ، دون تمييز بين عنصر وآخر أو قبيلة وأخرى ، وكما جاء في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } ^(١٠١) . في الوقت الذي نجد فيه الأمويين قد ضربوا عرضاً لهذا المبدأ الإسلامي من خلال سياسة التمييز العنصري التي ساروا عليها في تفضيل العرب عامة على الموالي فيما يخص نظام العطاء وإسقاط أسمائهم من الديوان ، أو في طريقة المعاملة التي تميزت بالاحتقار ، الأمر الذي دفع هؤلاء الى الاشتراك في عدة ثورات استهدفت الأمويين ، كان آخرها الدعوة العباسية التي تمكنت من استقطابهم بسهولة نظراً لتردي أوضاعهم ، ونجحت بمساندتهم وبفضل عوامل آخر من إسدال الستار على الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ^(١٠٢) .

كما خالف الأمويون المبادئ الإسلامية من خلال اعتمادهم سياسة التمييز القبلي ، وذلك ببعث العصبية القبلية التي حاربها الإسلام ، من أجل الاعتماد عليها في تثبيت حكمهم ^(١٠٣) . فكان الخليفة بمثابة شيخ أكبر للقبائل المنضوية تحت سلطته ^(١٠٤) . لذا نجده قد انتهج سياسة قبلية واضحة المعالم ارتكزت في بعض الأحيان على حفظ التوازن بين القبائل القيسية واليمانية ، كما حاول معاوية ذلك ، في حين أخفق آخرون في تحقيق هذا التوازن من خلال انحيازهم الى بعض القبائل على حساب البعض الآخر ، مما ولد لهم مشكلات كانوا في غنى عنها ^(١٠٥) . وبغض النظر عن هذه المشكلات ، فقد كان للقبائل الموالية للأمويين دور كبير في تثبيت سلطتهم ^(١٠٦) . ونظراً لطغيان الطابع القبلي على سياسة الأمويين ، ذلك الطابع المتمثل بمراعاة التقاليد القبلية على حساب المبادئ الإسلامية ^(١٠٧) ، كان من الطبيعي أن تصطبغ حروبهم بمظاهر قبلية أشبه بما كان يحدث بين القبائل أيام الجاهلية ، ولعل من أبرز هذه المظاهر هو الصراع بين القبائل القيسية والقبائل اليمانية كما حدث في معركة مرج راهط سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م على سبيل المثال ^(١٠٨) .

وكذلك انسحبت هذه الظاهرة على فتوح الأمويين ، حيث كان الجيش يتكون من عدد من القبائل التي كثيراً ما كانت تقاتل من أجل الغنائم ^(١٠٩) ، وهذا أشبه بظاهرة الغزو بين القبائل أيام الجاهلية من أجل السيادة والغنائم ، ولكن على نطاق أوسع ومنظم ومصطبغ بصبغة دينية . فمجتمع ((كان الموروث القبلي الذي يرى اللجوء الى القوة السافرة ما يزال قوياً فيه ، مجتمع تسهل فيه الإثارة بتحريك الغرائز البدائية تحت ستار من شعارات أخلاقية ودينية)) ^(١١٠) . يعزز

ذلك ما ذكره لومبارد من أن الأمويين قد ((اعتمدوا في فتوحاتهم على قوة البدو الحربية ، فجنّدوا رجالهم وسلحوهم وتركوا لهم الغنائم ، مما سمح للأمويين ببسط سلطتهم حتى دمشق التي أصبحوا يهيمنون منها على رؤوس الطرق التجارية))^(١١١) .

وعن أهمية الغنائم كدافع للمشاركة في الفتوح فتتضح من خلال نص لابن قتيبة يقول فيه : ((فسار موسى (ابن نصير) حتى غشي صنهاجة ، ومن كان معها من قبائل البربر ، وهم لا يشعرون ، فقتلهم قتل الفناء ، فبلغ سييهم يومئذ مائة ألف رأس ، ومن الإبل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب ما لا يحصى ، ثم انصرف قافلاً الى القيروان ، وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الأجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب))^(١١٢) . كما يتضح الدافع نفسه من نص آخر له ذكر فيه قانلاً : ((ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها ، وجعل يكتب الى عبد العزيز^(١١٣) بفتح بعد فتح ، ومالات سباياه الأجناد ، وتمايل الناس إليه ، ورغبوا فيما هنالك لديه))^(١١٤) .

وحدث الأمر نفسه عند فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م ، حيث ذكر المقري ((وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالأندلس وسعة الغنم فيها ، فاقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلققوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال))^(١١٥) . وقد جعل احد الباحثين غنائم الأندلس الوفيرة من دوافع فتحها حين قال : ((وما من شك أولاً في أن العرب قد عرفوا أشياء كثيرة عن أسبانيا المجاورة لهم . وعن خصب أرضها وما فيها من مغريات الغنائم))^(١١٦) . وقد فصل باحث آخر تلك الثروة المادية التي زخرت بها الأندلس ، بسعة أرضها التي استولى عليها الفاتحون المسلمون ، وبثمارها وفواكهها الوفيرة المتعددة ، فضلاً عن ثروتها المعدنية . وبين أن الثروة المادية في أكثر الأحيان قد سلكت طريقاً مناقضاً لما سلكته كتائب الإيمان والدعوة الإسلامية ، وإن المعارك التي كان يخوضها المسلمون في الأندلس لم تكن قاصرة على نصارى الشمال ، بل كانت تتجاوزها الى مناطق أوروبية أخرى لعل من أهمها بلاد الغال (فرنسا) . وقد دلت كثرة الغنائم التي حازوها على أن الأمر أعظم مما تستطيعه بلاد الجلالة الجبلية القاحلة^(١١٧) .

وترى الباحثة علماً أبو زيد أن السبب المباشر لهزيمة جيش المسلمين أمام الفرنجة في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م ، هو انشغالهم بأمور دنياهم عن أمور دينهم ، متمثلاً

ذلك بحرصهم على الغنائم التي تم تجميعها ووضعها في مؤخرة الجيش ، ومن ثم كانت هدفاً لهجمات جيش الفرنجة ، مما أحدث اضطراباً وخللاً في صفوف جيش المسلمين ، أدى في النهاية الى هزيمته ، كأنهم لم يتعظوا بدرس معركة أحد^(١١٨) .

ولعل من الأمثلة الدالة على أهمية الغنائم وما تسببه من غنى لكثير من العرب المشاركين في الفتوح الأموية^(١١٩) ، ما ذكره الطبري ومجموعة من المؤرخين من أن قتيبة بن مسلم الباهلي بعد أن صالح أهل السَّفد ، دعا نهار بن توسعة^(١٢٠) ((فقال : يا نهار أين قولك :

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

أقاما بمرو الروذ رهن ضريحه وقد غيبا عن كل شرقٍ ومغربٍ

أفغزو هذا يا نهار ، قال : لا ، هذا أحسن وأنا الذي أقول :

وما كان مذكنا ولا كان قبلنا ولا هو فيما بعدنا كابن مسلمٍ

أعم لأهل الترك قتلاً بسيفه وأكثر فينا مقسماً بعد مقسمٍ^(١٢١)))

وقال شاعر آخر :

((كل يوم يحوى قتيبة نهباً ويزيد الأموال مالاً جديداً

باهلي قد ألبس التاج حتى شاب منه مفارق كن سودا^(١٢٢)))

وفي بعض هذه الأبيات ورد ذكر المهلب بن أبي صفرة ، الذي يبدو انه أسهم مع أبنائه في غنى كثير من العرب المشاركين في الفتوحات التي تمت تحت قيادتهم . فالغزو هو الطريق الذي سلكه آل المهلب لنيل الشهرة والمغانم ، فعن طريقه يمكنهم تحقيق المكانة العالية المرموقة ، والثروات الطائلة التي تخضع إليهم الرقاب وتجمع من حولهم الأنصار^(١٢٣) .

ومن الثابت أن الحكومة الأموية هي نظام ملكي وراثي ، بعيد كل البعد عن الديمقراطية . وسياسة التعصب التي سار عليها الأمويون للعنصر العربي وتفضيله على بقية العناصر الإسلامية هي خروج عن جوهر العدالة والمساواة التي نادى بها الإسلام^(١٢٤) . فالحكم الأموي في حقيقة الأمر كان حكماً دنيوياً مادياً ، ولم يكن حكماً دينياً إسلامياً يساوي بين الناس ، ويكافئ من أحسن منهم عربياً كان أم مولى ، ويعاقب من أجرم منهم عربياً كان أم مولى . فالحكام لم يكونوا خدمة للرعية على حساب غيرهم . وكانت النزعة الجاهلية هي التي تسود العرب لا النزعة الإسلامية . فالحق والباطل كانا يختلفان تبعاً لاختلاف من صدر عنه

العمل ، فإن كان عربياً من قبيلة عد عملته حقاً ، وإن كان مولى أو عربياً من قبيلة أخرى عد عمله باطلاً^(١٣٥) . ويمكن تشبيه هذه السياسة التي انتهجها الأمويون في التمييز بين الحق والباطل بالفكرة التي تعرف الحق بالرجال وليس الرجال بالعق . وقد أورد الشريف المرتضى رواية طريفة عبر فيها عن إفلاس الأمويين من الحسنات يوم القيامة ، ونصها : ((قال رجل للحسن (البصري) : أخذ عطائي أمر أدعه حتى آخذه من حسناتهم (الأمويين) يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة))^(١٣٦) .

ولا بأس أن يتضمن كلامنا حول أهمية العامل الاقتصادي في الفتوح الأموية ، الذي كان أيضاً وراء قيام الكثير من حركات المعارضة ضد الأمويين ، الإشارة الى دوره في عرقلة بعض الفتوح ولاسيما فتح المغرب الذي كان من أصعب الفتوحات الإسلامية وأطولها مقارنة بفتوح العهد الراشدي في العراق والشام ومصر^(١٣٧) . الأمر الذي يعني وجود مقاومة شديدة للفاطحين الجدد . وقد كانت الأسباب الاقتصادية فعالة في هذا الجانب والتي تتضح من خلال سعي الفاتحين الى الغنائم ، والاستغلال الاقتصادي ، والرغبة في الاستحواذ على أعداد كبيرة من السبي . فادى هذا العامل وغيره الى جعل الفتح الإسلامي غير محبذ من جانب فئة واسعة من المجتمع المغربي . فهل كان انتشار الإسلام هو الذي لم تحبذه تلك الفئة ، أم الوسيلة التي تم بها هذا الانتشار أم السياسة المتبعة من قبل الفاتحين ؟

بدءً علينا أن نميز بين نوعين من الفتح هما : الفتح الإسلامي والفتح الأموي ، ولا نخلط بينهما . فكل فتح يتعارض مع تعاليم الإسلام وقيمه السمحاء هو فتح خارج عن الدين ولا يمت إليه بصلة ، وإنما يمثل الجهة القائمة به أو المنفذة له . وهذا أمر يمكن أن يكون نسبياً ، فكلما كان الابتعاد عن مفاهيم الدين كبيراً كلما تضاءلت إسلامية الفتح وأصبح نوعاً من أنواع التسلط شأنه في ذلك شأن كل متسلط يتخذ من الدين غطاءً له . وهنا يتجسد لنا مفهوم الإساءة في التطبيق ، وهو الأمر ذاته الذي أدى الى تأخر عملية فتح المغرب حتى بلغت ما يقارب سبعين عاماً^(١٣٨) . ثم سرعان ما ثار البربر بعد مدة وجيزة من استكمال الأمويين فتح بلادهم ، فكانوا في طليعة الشعوب الإسلامية التي أعلنت انفصالها عن السلطة المركزية بتكوين دويلات مستقلة^(١٣٩) . وبذلك يتبين لنا أن الفتح الأموي هو الذي كان غير محبذ وليس الفتح الإسلامي . ولعل من المناسب أن نسجل هنا نصين بالفي الدلالة على صحة ما ذهبنا إليه من توتر

وتنازم العلاقة بين الفاتحين الأمويين وسكان البلاد من البربر ، والتي اتصفت بمقاومة الفتح الأموي ، الذي لم يتمكن من إخضاع البلاد إلا عن طريق القوة ، التي لم تكن وحدها كافية لإخضاع البلاد مدة طويلة ، ما لم تكن العلاقات بين الفاتحين والسكان مبنية على حسن المعاملة والاحترام المتبادل ، وبخلاف ذلك فإن الأمور لا تلبث أن تتنازم من جديد ، كما حصل ذلك لبربر المغرب الذين دانوا بمذهب الخوارج الصفرية والاباضية^(١٣٠) ، وأفلحوا في تأسيس دول مستقلة سياسياً ومذهبياً عن مركز العالم الإسلامي في المشرق ، كما تجسد ذلك في دولتي بني طريف وبني مدرار الصفريتين في المغرب الأقصى ، ودولة بني رستم الاباضية في المغرب الأوسط^(١٣١) . فقد لخص ابن خلدون ذلك الوضع المتصف بمقاومة البربر للفتح الأموي قائلًا : ((وقدم موسى بن نصير الى القيروان والياً على أفريقية ، ورأى ما فيها من الخلاف ، وكان ينقل العجم من الأقاليم الى الأندلس وأثخن في البربر ودوخ المغرب وأدى إليه البربر الطاعة))^(١٣٢) . وقد ذهب الى الشيء ذاته في النص الثاني فقال : ((إن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نصير الى الأندلس ، بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثير من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد . فاستقروا هنالك من لدن الفتح ، فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة . ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعاها بالعراق ، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الاباضية والصفرية))^(١٣٣) .

هذا ولا يفوتنا التنويه أيضاً الى أن تأخر الفتح الأموي للمغرب ، لم يتأثر فقط بأوضاع هذه البلاد وسياسة الأمويين فيها ، بل تأثر أيضاً بأوضاع الأمويين في بلاد المشرق وأنشغالهم بقمع حركات المعارضة ضدهم^(١٣٤) . وقد أصبحت هنا علاقة جدلية واضحة تتلخص في انه كلما استقرت أوضاع الأمويين في بلاد المشرق كلما تقدمت حركة الفتح في بلاد المغرب نحو الأمام وحقت نتائج إيجابية بالنسبة لهم ، مع الأخذ بنظر الاعتبار السياسة التي سار عليها قادة فتح المغرب ، والتي تفاوتت إن سلباً أو إيجاباً أو من حيث الشدة واللين . ولعل في هذا الكلام مغزى مهم ، يتمثل في أن سلطة الأمويين ، إذا لم يكن مرغوباً بها في عقر دارهم أي مركز دولتهم ، فكيف سيرغب بها سكان المناطق النائية ببلاد المغرب ، والذين عظم ظلم الأمويين على الرغم من البعد الفاصل بينهم . وبعبارة أوضح ، فإن من رفض حكمهم في قلب العالم الإسلامي ، فكيف يتبجحون

- أُوْتِيجَ لهم - في نشر الدين الإسلامي في مناطق أخرى متطرفة في الشرق والغرب ١٩ .
وقد أورد الطبري وابن الأثير رواية أوضحت أن أسباب خروج البربر على الأمويين ترجع إلى ما حاق بهم من مظالم اقتصادية واجتماعية من جراء سوء سياسة بعض عمالهم ، ونصها :
((ثم لم يزل أهل أفريقية من أطوع أهل البلدان وأسمعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب إليهم دعاء أهل العراق واستثاروهم فشقوا عصا الطاعة ، وفرقوا بينهم إلى اليوم ، وكانوا يقولون : لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ، فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا : حتى نخبرهم ، فخرج ميسرة^(١٢٥) في بضعة وعشرين رجلاً فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدخلوا على الأبرش فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجندة فإذا غنمنا نفلهم ، ويقول هذا أخلص لجهادنا ، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأخرهم ، ويقول هذا إزدیاد في الأجر ، ومثلنا كفى إخوانه ، ثم إنهم عمدوا إلى ما شئتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون القراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون أنف شاة في جلد ، فاحتملنا ذلك ، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون ، فاحببنا أن نعلم عن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا ؟ فقال عليهم المقام ونفذت نفقاتهم ، فكتبوا أسماءهم ودفعوها إلى وزرائه وقالوا : إن سأل عنا أمير المؤمنين فأخبروه ، ثم رجعوا إلى أفريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على أفريقية ، وبلغ الخبر هشاماً فسأل عن النصر فعرف أسماءهم فإذا هم الذين صنعوا ذلك) (١٢٦) .

وقد أوضح هذا النص مسؤولية الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عما كان يرتكبه بعض ولاته على بلاد المغرب من مظالم اقتصادية واجتماعية بحق سكانها من البربر . وأكد محمود إسماعيل^(١٢٧) أن ولاية المغرب كانوا ينفذون مشيئة الخلفاء الذين اعتادوا على اختيار عمال ياتمرون بأمرهم ، وإلا فبماذا تفسر سني الإصلاح التي شهدتها المغرب أبان ولاية إسماعيل بن عبيد الله من قبل عمر بن عبد العزيز الذي حرص على اختيار عماله من العدول الاتقياء ومنهم إسماعيل هذا . ونعل مما يشير إلى ما كان سائداً في العصر الأموي الأخير من طمع الخلفاء في أموال البربر وسبائهم ، ويؤكد مسؤولية الخلفاء الأمويين عما كان يرتكبه عمالهم في بلاد المغرب ، هو ما حدث فيما بعد من رفض المتقلب على أفريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧-١٢٧ هـ / ٧٤٤-٧٥٤ م) الإدعان لمشيئة الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور (١٣٦-

١٥٨ هـ / ٧٥٣-٧٧٤ م) ، الذي طالبه بما كان يطالب به الخلفاء الأمويون عمالهم في بلاد المغرب من الفنائم والسبي ، وقد تجسد هذا الرفض بقوله : ((أن أفريقية اليوم إسلامية كلها وقد انقطع السبي منها فلا تسألني ما ليس قبلي)) (١٣٨) .

ونضيف هنا أن طمع الخلفاء الأمويين في أموال البلاد المفتوحة لم يكن سائداً فقط في العصر الأموي الأخير ، بل أن ذلك يرجع إلى عهد مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان ، كما يتضح من الرواية التي أوردها ابن كثير ونصها ((وفي هذه السنة (٤٥ هـ) غزا الحكم بن عمرو نائب زياد على خراسان جبل الأسل عن أمر زياد فقتل منهم خلقاً كثيراً وغنم أموالاً جمّة ، فكتب إليه زياد : أن أمير المؤمنين قد جاء كتابه أن يصطفي له كل صفراء وبياض — يعني الذهب والفضة — ويجمع كله من هذه الغنيمة لبيت المال . فكتب الحكم بن عمرو : أن كتاب الله مقدم على كتاب أمير المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض على عدو فاتقنى الله يجعل له مخرجاً ، ثم نادى في الناس : أن اغدوا على قسم غنيمتكم ، فقسمها بينهم وخالف زياداً فيما كتب إليه عن معاوية . وعزل الخمس كما أمر الله ورسوله ثم قال الحكم : إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك ، فمات بمرو من خراسان رضي الله عنه)) (١٣٩) .

وهذا يعني إن الأمويين منذ عهد معاوية كانوا ينظرون إلى واردات الدولة ولاسيما الغنائم على إنها ((ملكاً خاصاً للخليفة ، وخاضعة لرقابته المطلقة ، وهكذا استطاع معاوية عندما ولي عمرو بن العاص مصر أن يهبه خراجها كله مكافأة له على مساعدته ضد الإمام علي)) (١٤٠) .

وكان ((عبد الملك بن مروان كثيراً ما يقول إذا جاءه فتوح موسى : لتهنئك الغلبة أبا الأصبع ، ثم يقول : عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)) (١٤١) . وهذا يدل على أن موسى بن نصير قد نجح في إرضاء الخليفة عبد الملك فضلاً عن أخيه عبد العزيز والي مصر ، اللذين أظهرتا إعجابهما بحملاته الناجحة وما نجم عنها من غنائم كثيرة (١٤٢) . وبذلك تحول الفتوح نحو وجهة مادية لا ترمي إلى ضم البلاد وإدخالها في الإسلام بقدر ما تعني بالمغنم الحافل والمال الوفير (١٤٣) .

وعبد الملك هذا كان قبل توليه الخلافة في عداد فقهاء المدينة ، وكان يسمى حمامة المسجد لإكثاره تلاوة القرآن ، ولكن لما توفي أبوه مروان ((وبُشر بالخلافة أطبق المصحف ، وقال : هذا فراق بيني وبينك ، وتصدى لأمر الدنيا)) (١٤٤) . وهو بهذا يكون على العكس من ابن أخيه عمر بن عبد العزيز الذي زهد في الدنيا بعد توليه الخلافة (١٤٥) .

وأخيراً ربما هناك من يحاول التماس الأعذار للدولة الأموية ونزعتها المادية الاقتصادية ، من خلال الإشارة الى تبدل الأوضاع بإسلام قسم من أهل الذمة ، وما يستتبع ذلك من إعفائهم من ضريبتى الجزية والخوارج ، فضلاً عن تملك العرب الأراضي الخراجية ودفع العشر عنها بدل الخراج . يقابل ذلك ازدياد حاجة الدولة الأموية الى المال ، بغية إقرار الأوضاع الداخلية ، وسد نفقات البلاط المتعاظمة والمصروفة على أمور الترف والبذخ ، ناهيك عن توسع الجهاز الإداري وزيادة نفقاته ^(١٦٦) . كل ذلك أدى الى أن تكون الدولة الأموية بحاجة ماسة الى الأموال كي تتمكن من مسيرة هذه التطورات المختلفة وتحقيق مصالحها حتى لو كان في ذلك تعارضاً مع مصالح الإسلام ^(١٦٧) . فكل هذه التبريرات غير مقبولة لكونها جاءت معارضة لجوهر الإسلام ، الذي لا يقر الظلم بكافة أشكاله ، ذلك الظلم الذي مارسه الأمويون على نطاق واسع بحق الشعوب التي تسلطوا عليها ، دون أن يردعهم في ذلك رادع من دين يدينون به أو أخلاق يتخلقون بها ، فجعلوا مصالحهم في كفة ومصالح الإسلام وشعوبه في الكفة الأخرى . هذا الى أن الأمويين هم أنفسهم قد تسببوا في الكثير من هذه المشكلات إن لم يكن جميعها ، ومن ثم فليس من الجائز القول أن حاجة الدولة الأموية الملحة الى الأموال من اجل سد النفقات المتزايدة للجيش التي أرسلتها لقمع الثورات المتعددة التي اشتعلت ضدها في مناطق مختلفة ، يبرر الانتهاكات التي ارتكبتها الأمويون في الجانبين الديني والاقتصادي . فهذه الثورات لم تكن لتحدث أو لتضائل حدوثها على الأقل ، فيما لو كان الأمويون قد اتبعوا سياسة العدل والمساواة مع الشعوب التي حكموها . ومن ثم فإن الأمويين من خلال انتهاكاتهم المتعددة لمبادئ الدين الإسلامي وقيمه السمحاء ، يكونون قد اتبعوا مبدأ الغاية تبرر الوسيلة . فالدين الإسلامي لا يعارض أية ممارسات اقتصادية تهدف الى تحقيق مصالح الأمة ككل ، لا أن تصب في مصلحة فئة محدودة تتمثل بالأسرة الأموية ورجالها المقربين ، في حين تهمل السواد الأعظم من الأمة ، لا بل إنها تعود بالضرر عليهم ، فهذا ما ياباه الإسلام بشكل قاطع من دون أدنى شك . ويبدو أن الأمويين قد اقتدوا في ذلك بسنة مؤسس دولتهم معاوية بن أبي سفيان الذي عرف الناس ((في زمانه فارقاً شاسعاً بين ولي الأمر الذي يتخذ الحكم خدمة للرعية وأمانة للخلق والخالق ، وشرعية لمرضاة الناس بالحق والانصاف ، وبين الحكم الذي يحاط بالأبهة ويملي لصاحبه في البذخ والمتعة ويجعله قدوة لمن يقتدون به في السرف والمغالاة بصفائر الحياة)) ^(١٦٨) .

الخاتمة :-

يمكن القول أن انتشار الإسلام كان بفعل نوعين من العوامل : أولهما العوامل الذاتية المتعلقة بالدين الإسلامي ذاته أي تعاليمه وقيمه السمحاء التي تهدف إلى سعادة البشر وخيرهم . أما النوع الثاني فهي العوامل غير الذاتية المتمثلة بالطرق والوسائل المتبعة في نشر الدين . ومن دون شك فإن العوامل الذاتية تعد أهم بكثير من العوامل الأخرى بدليل المعارضة التي واجهها الفتح الأموي لبعض المناطق كبلاد المغرب على سبيل المثال ، وذلك بسبب الخروج على جوهر الإسلام المتمثل بتعاليمه وقيمه السمحاء التي شكلت عوامل ذاتية لنشر الدين ، وهي أقوى من كل عوامل أخرى معارضة ، لا بل حتى الأساليب المتمشية مع تعاليم الدين في نشر الإسلام ، هي في حقيقة الأمر تستمد قوتها من جوهر الدين نفسه لا من أي شيء آخر . فانتشار الإسلام الصحيح كان ولا يزال بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا بالقوة والظلم والاستغلال الاقتصادي ، كما فعل ذلك الأمويون الذين اقتدوا بأسلافهم الجاهليين ، فتشابهت أحوال الأجداد والأحفاد من حيث حب الزعامة والترف ومخالفة الدين في كثير من جوانب حياتهم ، لا بل أن الآخرين قد فاقوا أسلافهم من حيث ممارستهم الظلم على نطاق أوسع ضد الشعوب التي تسلطوا عليها ، فعم ظلمهم المسلمين وغير المسلمين ، سواء أكان هذا الظلم سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً أم دينياً ، وسواء أكان أولئك المسلمون وغير المسلمين ، قد فتحت بلدانهم قبل مجيء الأمويين إلى سدة الحكم أم بعد مجيئهم . أي أن الأمويين قد عمدوا إلى مباشرة الفتوح قبل أن يعمدوا إلى تحسين أوضاع الشعوب التي تسلطوا عليها من كافة الجوانب ، مخالفين بذلك حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ...))^(١٤٩) . وبعبارة أخرى فإن الأمويين قد اهتموا بالفتح الخارجي على حساب الفتح الداخلي ، لأن في الأول تحقيق لمصالحهم المختلفة ومنها المصالح المادية ، أي أنهم استغلوا الفتوح لتحقيق أغراض مادية تصب في الدرجة الأولى في مصلحة الأسرة الحاكمة وأعوانها المقربين ، متجاهلين مصالح عموم الأمة . فكانوا بذلك مصدر نقمة للشعوب التي انضوت تحت لوائهم ، مخالفين قوله تعالى لرسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }^(١٥٠) .

الهوامش

- (١) سورة سبأ ، الآية ٢٨
- (٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥
- (٣) الموحى : حقوق الإنسان ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
- (٤) ينظر : ابن اسحاق : السيرة ، ص ١٥٤ ، ١٨٩-١٩٦ ؛ ابن هشام : السيرة النبوية ، ١/٢٥٨ - ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧-٢٧٩ .
- (٥) سورة الحج ، الآية ٣٩ .
- (٦) ينظر : ابن اسحاق ، السيرة ، ص ١٤٤ وما بعدها ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣/١٠٨ ، ٢١٨ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، ٢/٢٤ وما بعدها ، ٤٩ ، ٥٢-٥٣ ، ٥٦-٥٧ ؛ وينظر أيضاً : المصري : أثر أهل الكتاب ، ص ١٠٨-١١٠ .
- (٧) فلوتن : السيادة العربية ، ص ٥ .
- (٨) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .
- (٩) حضارة العرب ، ص ١٣٤ .
- (١٠) م. ن. والصفحة ؛ وينظر أيضاً : العبيدي : الفتوح العربية ، ص ٢٩١-٢٩٢ .
- (١١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ١٥ ؛ وينظر أيضاً : العبيدي : م. ن. ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .
- (١٢) ناجي حسن : القبائل العربية ، ص ٦٣-٦٤ .
- (١٣) ينظر : الطبري : تاريخ ، ٣/١٣ ، ١٩ وما بعدها ؛ وعن السياسة المالية للرسول (ص) ينظر : قطب إبراهيم محمد : السياسة المالية للرسول ، ص ١٠ وما بعدها .
- (١٤) فتوح البلدان ، ص ٧١ .
- (١٥) حتي : تاريخ العرب (مطول) ، ١/٩٥-٩٦ .
- (١٦) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ١٥ .
- (١٧) ينظر : شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٤٠ ، ٤٤ .
- (١٨) ينظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٤/٧٥-٧٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ١/١٨٦ ؛ وينظر أيضاً : الخضري : الدولة الأموية ، ص ٣٥٩ .

- (١٩) ينظر : زعرور و احمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٢٢ .
- (٢٠) سعيد بن المسيب : هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة ، من تابعي أهل المدينة ومحدثيها وفقهائها ومفتيها . ولد في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٣ هـ) وتوفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م بعد أن جاوز عمره السبعين عاماً . ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٧ / ١١٩-١٤٣ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٣٧-٤٣٨ .
- (٢١) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٣٢ .
- (٢٢) م . ن والصفحة .
- (٢٣) المستطرف ، ١ / ٩٠ ؛ وينظر أيضاً : الجاحظ : البيان والتبيين ، ١ / ٣٠٠ ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ١ / ٧٠ ؛ صفوت : جمهرة خطب العرب ، ٢ / ٢٣٢ .
- (٢٤) ينظر : اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٤٣-٢٤٦ ؛ أبو الفرج الاصفهاني : مقاتل الطالبين ، ص ٨٢ وما بعدها ؛ وينظر أيضاً : أبو زيد : الدولة الأموية ، ص ٧٦ .
- (٢٥) عن وقعة الحرة في المدينة ينظر : خليفة بن خياط : تاريخ ، ص ١٤٧-١٥٥ ؛ اليعقوبي : م . ن ، ٢ / ٢٥٠-٢٥١ .
- (٢٦) ينظر : م . ن ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ؛ م . ن ، ٢ / ٢٥١-٢٥٢ .
- (٢٧) كان قاضي ابن الزبير عبد الله بن عمير الليثي ، إذا توقف القتال بين الفريقين ، علا الكعبة ونادى بأعلى صوته : ((يا أهل الشام ! هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد ، فاتقوا الله ، يا أهل الشام ! فيصيح الشاميون : الطاعة الطاعة ! الكرة الكرة ! الرواح قبل المساء ! فلم يزل على ذلك حتى أحرقت الكعبة ، . . .)) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٢٥١-٢٥٢ .
- (٢٨) زعرور و احمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٢٢ ؛ عطوان : الموسوعة التاريخية ، ١١ / ٢٦٣-٢٦٩ .
- (٢٩) ينظر : لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٢٧ ، ١٢٩ ؛ شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩١ ، ١٣٢ ؛ بطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٠-١٤٤ ؛ مصطفى : موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، ١ / ٧٧ .
- (٣٠) معاوية بن حديج : - هو معاوية بن حديج الكندي ، اختلف المؤرخون حول تاريخ ولايته على أفريقية ، فيما إذا كان ذلك في أواخر عهد عثمان أم في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ /

٦٦٥ م، كما اختلفوا في عدد غزواته أفريقية ، ولكنهم اتفقوا على فتحه بعض مدن أفريقية مثل جلولاء وبغزرت ، وقيامه بغزو جزيرة صقلية . ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٠-٢٢١ : ابن عذاري : البيان المغرب ، ١ / ١٦-١٩ : ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٣٩-٤١ . (٤١) ابن عذاري : م . ن ، ١ / ١٦-١٧ .

(٣٢) موسى بن نصير : هو موسى بن نصير بن عبد الرحمن اللخمي ، اختلفت الروايات حول تاريخ ولايته على بلاد المغرب من قبل الأمويين ، إلا أنها اتفقت على أنه استكمل فتح البلاد سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م ، ثم أرسل حملة عسكرية بقيادة طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة ٩٢ هـ / ٧١١ م ، بعد أن مهد لذلك بحملة طريف بن مالك الاستطلاعية سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م . ينظر : ابن عذاري : م . ن ، ١ / ٢٩-٤٦ : النويري : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ٢٠٠-٢٠٩ : الباجي المسعودي : الخلاصة النقية ص ١١-١٢ : وينظر أيضاً : سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ١ / ٢٤١-٢٦٢ .

(٣٣) الليث بن سعد : هو أبو العارث ، مولى فهم من قيس عيلان . من تابعي التابعين الذين سكنوا مصر ، ولد سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م وتوفي سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م وقيل سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م . اشتهر بالفقه ورواية الحديث والإفتاء . ينظر : ابن سعد : الطبقات الكبير ، ٩ / ٥٢٤ : ابن حبان : الثقات ، ٧ / ٣٦٠-٣٦١ .

(٣٤) النويري : تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ٢٠٠ .

(٣٥) نفع الطيب ، ١ / ٢٢٤ .

(٣٦) اليعقوبي : تاريخ ، ٢ / ٣١٨ : وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٣-٥٤ .

(٣٧) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٥ : وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : م . ن والصفحات .

(٣٨) السوس الأقصى : يقع الى الجنوب من السوس الأدنى ، ويشمل الأراضي الجنوبية الغربية من منطقة المغرب الأقصى المطلة على المحيط الأطلسي . ينظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ٨٩ : الزهري : كتاب الجغرافية ، ص ١١٧-١١٨ .

(٣٩) ويقصد بالسودان هنا السودان الغربي أي افريقيا الغربية السوداء الواقعة جنوب الصحراء الكبرى وشمال المنطقة شبه الاستوائية . الغربي : بداية الحكم المغربي ، ص ٢٣ ، هامش (١) .

(٤٠) تاريخ أفريقية والمغرب ، ص ٧٢ : وينظر أيضاً : ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ٥٤ .

- (٤١) حيث يشير احد الباحثين الى أن المهلب بن أبي صفرة أثناء ولايته على خراسان (٧٨-٨٢ هـ / ٦٩٧-٧٠١ م) ظل مع أبناءه يقاقلون في هذه الجبهة أعداء الإسلام ، ولكن من اجل إخضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية (سلطان : آل المهلب ، ص ٦٦) ، مما يدل على أن الهدف الرئيس كان سياسياً ، وإن ألبس الخصم ثوب أعداء الإسلام . وينظر أيضاً : بطاينة : الحياة الاقتصادية ، ص ١٢٨ ، زعرور و احمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٥٥ .
- (٤٢) عن حب الأمويين للسلطة وعداوتهم مع بني هاشم ينظر : البلاذري : جمل من أنساب الأشراف / ٦٨ : المقرئ : النزاع والتخاصم ؛ وينظر أيضاً : حاتم : زيد بن علي ، ص ٣٠-٣١ (٤٣) تاريخ ، ٢ / ٢٣٤ .
- (٤٤) م . ن ، ٢ / ٢٣٢-٢٣٣ .
- (٤٥) البيان المغرب ، ١ / ٥٢ .
- (٤٦) الخضري : الدولة الأموية ، ص ٣٥٠ ؛ فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ١٩٩ ؛ العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص ١٧٦-١٨٠ .
- (٤٧) العقاد : معاوية بن أبي سفيان ، ص ١١٤ ؛ وينظر أيضاً : الثعالبي : سقوط الدولة الأموية ، ص ٤٥ .
- (٤٨) العقاد : م . ن ، ص ١١٥ .
- (٤٩) الوردي : منطق ابن خلدون ، ص ١٥٥ .
- (٥٠) سورة سبأ ، الآية ٣٤ .
- (٥١) سورة الزخرف ، الآية ٢٣-٢٤ .
- (٥٢) ينظر : ابن طباطبا : الفخري ، ص ١١٣ ، ١٣٤ ؛ أبو الضياء : المختصر ، ١ / ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ١ / ٧٣ ، ٩٧-٩٩ ؛ وينظر أيضاً : سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ؛ فروخ : العرب في حضارتهم وثقافتهم ، ص ١٧٧-١٧٨ ؛ عطوان : الموسوعة التاريخية ، ١٩ / ٢١٩-٢٢٠ .
- (٥٣) فروخ : م . ن ، ص ١٦٣ .
- (٥٤) الورداني : السيف والسياسة ، ص ١١٦ .
- (٥٥) سورة القصص ، الآية ٧٧ .
- (٥٦) سورة الأعراف ، الآية ٢٢ .

- (٥٧) اليعقوبي: تاريخ، ٢/ ٢٣٨؛ وينظر أيضاً: شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٩٥.
- (٥٨) ينظر: الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص ٢٤-٢٥، ٢٧.
- (٥٩) حسان: هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن هاشم بن مزيقيا الغساني، كان يلقب بالشيخ الأمين، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ ولايته على أفريقية ما بين سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م، أو ٧٣ هـ / ٦٩٢ م، أو ٧٨ هـ / ٦٩٧ م، أو ٧٩ هـ / ٦٩٨ م. والراجح أن ولايته كانت بعد القضاء على حركة عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م، إذ تمكن عبد الملك بعدها من التفرغ لشؤون المغرب، فأرسل حسان إلى غزو أفريقية وتمكن من تحقيق نتائج ملموسة في عملية فتح المغرب بفتح منطقة المغرب الأوسط، كما قام بأعمال أخرى مهمة. ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٢٢٨-٢٣٠؛ المالكي: رياض النفوس، ١/ ٤٨-٥٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١/ ٣٤-٣٩؛ الباجي المسعودي: الخلاصة النقية، ص ١٠-١١.
- (٦٠) رياض النفوس، ١/ ٥٧؛ وينظر أيضاً: الباجي المسعودي: الخلاصة النقية، ص ١١ ولكنه يجفل مقدم حسان على الوليد بن عبد الملك.
- (٦١) فتوح مصر والمغرب، ص ٢٣٠.
- (٦٢) مؤلف مجهول، ص ٣١-٣٢.
- (٦٣) البيان المغرب، ١/ ٤٨؛ وينظر أيضاً: الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، ص ٦٤، وعلى الرغم من أن الطبري والنويري والناصرى قد ذكروا سبباً آخر لقتله، إلا أنه مع ذلك فكل السببين كانا معبرين عن ظلمه. ينظر: تاريخ، ٨/ ١٢٥؛ تاريخ المغرب الإسلامي، ص ٢١١-٢١٤؛ الاستقصا، ١/ ٤٧.
- (٦٤) الفريجي: دولة بني طريف، ص ٢٧-٢٨؛ دولة بني مدرار، ص ٣٧-٣٩.
- (٦٥) تاريخ المغرب الإسلامي، ص ٢١٣-٢١٤؛ فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ٢٠٩.
- (٦٦) البيان المغرب، ١/ ٥٢.
- (٦٧) الاستقصا، ١/ ٤٨.
- (٦٨) الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، ص ٧٥.
- (٦٩) الوردي: وعاء السلاطين، ص ٢٠٣.
- (٧٠) ينظر: أبوزيد: الدولة الأموية، ص ٧٦.

- (٧١) ينظر: الوردي: وعاء السلاطين، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ فيصل: المجتمعات الإسلامية، ص ٢٠٩.
- (٧٢) احمد شلبي: الدولة الأموية، ص ٧٦.
- (٧٣) ابن خلدون: تاريخ، ٢ / ٧٨.
- (٧٤) الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ١٤.
- (٧٥) الدولة الأموية، ص ٧٧؛ وينظر أيضاً: أبو زيد: الدولة الأموية، ص ٥٧.
- (٧٦) م. ن، ص ٩٦؛ وينظر أيضاً: أبو زيد: م. ن، ص ٩ حيث أشارت الى ان الدولة الأموية قد بلغت حدوداً لم تتجاوزها الدولة الإسلامية بعدها كدولة واحدة.
- (٧٧) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٩٤.
- (٧٨) سوادي عبد محمد: دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص ١٠٠، ١٠٢؛ والادارسة نسبة الى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، الذي استطاع تأسيس دولة مستقلة عن العباسيين في المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م، ينظر: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥ وما بعدها؛ محمود إسماعيل: الادارسة؛ نصر الله: دولة الادارسة في المغرب.
- (٧٩) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٠، ٢١؛ وينظر أيضاً: أبودياك: الدولة الادريسية الهاشمية، ص ١١٦، ١١٧؛ عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ص ١١٠-١١١؛ محمود إسماعيل: الادارسة، ص ٦١؛ عبد الحليم: دولة بني صالح، ص ٢٤-٢٥.
- (٨٠) عبد الرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٢٧؛ والزبيديون نسبة الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، واليه تنسب فرقة الزيدية إحدى فرق الشيعة. ينظر: حاتم: زيد بن علي؛ الغراوي: الزيدية، ص ١٤١ وما بعدها.
- (٨١) أبويوسف: الخراج، ص ١٣١؛ وينظر أيضاً البلاذري: جمل من انساب الأشراف، ٨ / ١٤٦.
- (٨٢) تاريخ، ٨ / ٩٠؛ وينظر أيضاً: ابن الأثير: الكامل، ٤ / ٣٢١؛ ابن خلدون: تاريخ، ٣ / ٧٨-٧٩.
- (٨٣) أبو زيد: الدولة الأموية، ص ٥٥.
- (٨٤) الأذكياء، ص ٨٧، والضحاك بن مزاحم: هو أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، صنفه ابن سعد ضمن الطبقة الثانية من تابعي الكوفة، الذين رووا عن عبد الله بن عمرو عبد الله بن عباس وجابر ابن عبد الله وغيرهم، رحل الى خراسان وأقام بها، وتوفي سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م. ينظر: الطبقات الكبرى، ٨ / ٤١٧-٤١٩.

- (٨٥) اليعقوبي : تاريخ ، ٣٠٦ / ٢ .
- (٨٦) م . ن ، ٣١٣ / ٢ ؛ ابن خلدون : تاريخ ، ٧٩ / ٢ .
- (٨٧) المسعودي : مروج الذهب ، ١٦٤ / ٣ .
- (٨٨) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٤٧-٤٨ ؛ وينظر أيضاً : زعرور و أحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٩١ ؛ الثعالبي : سقوط الدولة الأموية ، ص ٤٥ .
- (٨٩) ما وراء النهر : - ويطلق على المنطقة الواقعة شرق نهر سيحون الى الشمال الشرقي من خراسان ، ويضم مدن عديدة من أهمها سمرقند وبخارى والصغد . ينظر : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٤٥٩ وما بعدها ؛ وينظر أيضاً : الحديثي : أرباع خراسان ، ص ٤٤٧ وما بعدها ؛ عبد الرؤوف : الدول الإسلامية في الشرق ، الخريطة بعد ص ٨٠ .
- (٩٠) تاريخ ، ٩٠ / ٣ .
- (٩١) تاريخ ، ٢٣٠ / ٨ ؛ وينظر أيضاً : ابن خلدون : م . ن ، ١٠١ / ٣ .
- (٩٢) الطبري : م . ن ، ٢٩٢ / ٨ ، وينظر أيضاً : البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، ١٩٢ / ٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ٣٧٩ / ٤ - ٣٨٠ .
- (٩٣) عبد الرحمن بن الأشعث : هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، كان أمير سجستان وقام بخلع عبد الملك بن مروان سنة ١٨٢ هـ / ٧٠١ م ، إلا أن الحجاج تمكن من هزيمته في موقعة دير الجماجم و تم قتله سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م . ينظر : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٨ / ١٣٤-١٣٥
- (٩٤) بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٢٥٤ .
- (٩٥) صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ١٣٦ .
- (٩٦) الطبري : تاريخ ، ١٠٩ / ٦ .
- (٩٧) جاسم صكبان علي : دراسات في التاريخ العربي ، ص ٨٢ ؛ الرواضية : زياد بن أبيه ، ص ١٤٤-١٤٥ ، ١٥٤ .
- (٩٨) عبد الحليم : دولة بني صالح ، ص ٣٢ .
- (٩٩) ماجد : التاريخ السياسي ، ٣١-٣٠ / ٢ .
- (١٠٠) لوبون : حضارة العرب ، ص ١٣٩ .

- (١٠١) سورة الحجرات ، الآية ١٣
- (١٠٢) اليوزبكي : دراسات في النظم ، ص ١٧٤ - ١٧٦ : جودة : العرب والأرض ، ص ١٤٣
- (١٠٣) ماجد : التاريخ السياسي ، ٩٤ / ٢ .
- (١٠٤) غلوب : الفتوحات العربية الكبرى ، ص ٦١٨ : ماجد : م ، ن ، ٢٢ / ٢ : الدوري : النظم الإسلامية ، ٤٣ / ١ : دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص ١٦٥ .
- (١٠٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٨٤ : حمادة : الوثائق السياسية ، ص ٣٠ : ناجي حسن : القبائل العربية ، ص ٦٦ : أبوزيد : الدولة الأموية ، ص ٥١ ، ٥٢ : دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص ١٦٨ .
- (١٠٦) اليوزبكي : دراسات في النظم ، ص ٤١ .
- (١٠٧) الدوري : النظم الإسلامية ، ٤٣ / ١ .
- (١٠٨) حمادة : الوثائق السياسية ، ص ٣٠ : زعرور و أحمد : تاريخ العصر الأموي : ص ٤١ : دكسن : من سمات العصر الأموي ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .
- (١٠٩) وقد أورد شعبان مثلاً عن البصريين حيث أشار قائلًا : ((كما كانوا أقل استعداداً للقيام بحملة على جبهة سجستان لقلّة ما توفره من غنائم)) . صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٨ .
- (١١٠) جب : دراسات في حضارة الإسلام ، ص ٥٧ .
- (١١١) الجغرافية التاريخية ، ص ٣٠ : وينظر أيضاً : شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص ٩٢ .
- (١١٢) الإمامة والسياسة ، ٥٤ / ٢ .
- (١١٣) عبد العزيز : هو عبد العزيز بن مروان ، أخ الخليفة عبد الملك كان يلي ولاية مصر وهو الذي نصب موسى بن نصير على ولاية المغرب . ينظر : الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٣٩ - ٤٥ .
- (١١٤) الإمامة والسياسة ، ٥٥ / ٢ - ٥٦ .
- (١١٥) نفح الطيب ، ٢٥٩ / ١ : وينظر أيضاً : اشتيوي : الأندلس في عصر الولاة ، ص ١٧٧
- (١١٦) مصطفى : الأندلس في التاريخ ، ص ١١٦ .
- (١١٧) عويس : التكاثر المادي ، ص ٦ - ٧ .
- (١١٨) الدولة الأموية ، ص ٦٦ .
- (١١٩) زعرور و أحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٩٣ .

- (١٢٠) نهار بن توسعة : هونهار بن توسعة بن أبي عتبان ، من بكر بن وائل ، من بني حنتم ، وكان أشعر بكر بخراسان . ينظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ١ / ٥٣٧-٥٣٨ .
- (١٢١) تاريخ ، ٨ / ٤٢ ؛ وينظر أيضاً : الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، ص ٣٢١ ؛ ابن قتيبة م . ن ، ١ / ٥٣٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ٤ / ٢٧٦ ؛ أما ابن أعثم (الفتوح ، ٧ / ١٥٩) فيجعل قائل هذه الأبيات كعب ابن معدان الأشقري .
- (١٢٢) الطبري : م . ن والصفحة : ابن الأثير : م . ن ، ٤ / ٢٧٦-٢٧٧ .
- (١٢٣) سلطان : آل المهلب ، ص ٨٦ .
- (١٢٤) محمود إسماعيل : الحركات السرية ، ص ٨ ؛ زعرور وأحمد : تاريخ العصر الأموي ، ص ٢٢ .
- (١٢٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ١ / ٢٧ .
- (١٢٦) أمالي المرتضى ، ١ / ١٧٢ .
- (١٢٧) ينظر : مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ؛ سوادى عبد محمد : دراسات في تاريخ المغرب العربي ، ص ١٧-٢٤ .
- (١٢٨) سوادى عبد محمد : م . ن ، ص ١٧ .
- (١٢٩) ينظر : الفريجي : دولة بني طريف ، ص ٢٧-٢٨ ؛ دولة بني مدرار ، ص ٣٧-٣٩ .
- (١٣٠) عن انتشار مذهب الخوارج الصفرية والاباضية ينظر : محمود إسماعيل : الخوارج في بلاد المغرب ، ص ٤٢-٥٧ .
- (١٣١) ينظر : الفريجي : دولة بني طريف ، ص ٢٧-٢٨ ؛ دولة بني مدرار ، ص ٣٧-٣٩ .
- (١٣٢) تاريخ ، ٦ / ١١١ .
- (١٣٣) تاريخ ، ٦ / ١١١ .
- (١٣٤) مؤنس : فتح العرب للمغرب ، ص ٢٦٨ .
- (١٣٥) ميسرة : هو ميسرة المدغري أو المطغري نسبة الى قبيلة مطغرة البربرية المستوطنة إقليم طنجة من المغرب الأقصى ، اعتنق مذهب الخوارج الصفرية وتزعم أول ثورة بربرية كبرى في سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م تمكنت من تحقيق الاستقلال بالمغرب الأقصى عن سلطة الأمويين . ينظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٤٦ ؛ الرقيق القيرواني : تاريخ أفريقية والمغرب ، ص ٧٣-٧٤ ؛ ابن عذاري : البيان المغربي ، ١ / ٥٢-٥٣ .

- (١٣٦) تاريخ، ٩٤/٥؛ الكامل، ٢/٤٨٥-٤٨٦.
- (١٣٧) الخوارج في بلاد المغرب، ص ٣٦-٣٧، ٢٨.
- (١٣٨) الرقيق القيرواني: تاريخ أفريقية والمغرب، ص ٩٦؛ وينظر أيضاً: ابن عذاري، ١/٦٧؛ النويري: تاريخ المغرب الإسلامي، ص ٢٢١؛ الباجي السعودي: الخلاصة النقية، ص ١٦.
- (١٣٩) البداية والنهاية، ٨/٢٠٧٠-٢٠٧١.
- (١٤٠) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص ١٧٩؛ وعن مكافأة معاوية لعمر بن العاص بمنحه ولاية مصر، ينظر: اليعقوبي: تاريخ، ٢/٢٢١؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص ٢٦.
- (١٤١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ٢/٧٩.
- (١٤٢) عبد الواحد دنون طه: الفتح والاستقرار، ص ١٣٢.
- (١٤٣) مؤنس: فتح العرب للمغرب، ص ٢٦٩، وينظر أيضاً: ص ٢٦٥.
- (١٤٤) ابن طباطبا: الفخري، ص ١٢٢؛ وينظر أيضاً: القلقشندي: مآثر الإنافة، ١/١٧٢.
- (١٤٥) ينظر: ابن الجوزي: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص ١٣٦-١٤٢.
- (١٤٦) الدوري: النظم الإسلامية، ص ١٣٧؛ وينظر أيضاً: الجحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي، ص ٢٣؛ شعبان: صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٩١.
- (١٤٧) جب: دراسات في حضارة الإسلام، ص ٤٦.
- (١٤٨) العقاد: معاوية بن أبي سفيان، ص ١٢٦؛ وينظر أيضاً: قطب إبراهيم محمد: السياسة المالية للرسول (ص)، ص ١٠.
- (١٤٩) السيوطي: الجامع الصغير، ٢/٢٨٩؛ وينظر أيضاً: أبو داود: السنن، ٢/١٣.
- (١٥٠) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

مصادر ومراجع البحث

- القرآن الكريم

أولاً - المصادر

الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)

١- المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ١ ، دار الندي ، بيروت ٢٠٠٤ م .

ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

٢- الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، ط ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٦ م .

ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المظلي (ت ١٥١ هـ / ٧٦٩ م)

٣- سيرة ابن اسحاق المسماة بـ (كتاب السير والمغازي) ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٨ م .

ابن اعثم ، أبو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م)

٤- كتاب الفتوح ، تحقيق علي شيري ، ط ١ ، دار الأضواء ، بيروت ١٩٩١ م .

الباجي السعودي ، أبو عبد الله الشيخ محمد (ت ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٧ م)

٥- الخلاصة النقية في أمراء أفريقية ، ط ٢ ، مطبعة بيكار وشركائه ، تونس ١٩٠٥ م .

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)

٦- جمل من أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ م .

٧- فتوح البلدان ، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٠ م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)

٨- البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط ٧ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٨ م .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)

٩- الأذكياء ، تحقيق وتعليق عادل عبد المنعم ، مكتبة القرآن ، القاهرة (د . ت)

١٠- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط ١ ، دار ابن خلدون ،

الاسكندرية ١٩٩٦ م.

ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد البستي (ت ٢٥٤ هـ / ٩٦٥ م)

١١- كتاب الثقات ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن - الهند
١٩٧٣ م

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت بعد ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م)

١٢- صورة الأرض ، مطبعة برييل ، ليدن ١٩٣٨ م.

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت في حدود ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)

١٣- المسالك والممالك ، مطبعة برييل ، ليدن ١٨٨٩ م ، أعادت طبعه بالافوسيت مكتبة المثنى
ببغداد .

ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله القرناطي (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

١٤- أعمال الأعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام ،
تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٣ م.

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

١٥- تاريخ ابن خلدون المسمى ((العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)) ، تصحيح وتعليق تركي فرحان المصطفى ، ط ١ ، دار إحياء
التراث العربي ، بيروت ١٩٩٩ م.

خليفة بن خياط ، أبو عمرو خليفة بن خياط بن هبيرة الليثي العصفري (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٣ م)

١٦- تاريخ خليفة بن خياط ، راجعه وضبطه مصطفى نجيب وحكمت كشلي ، ط ١ ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ١٩٩٥ م.

ابوداود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م)

١٧- سنن أبي داود ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٠ م.

ابن أبي دينار ، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت بين أواخر القرن الحادي عشر
الهجري وأوائل القرن الثاني عشر / السابع عشر الميلادي)

١٨- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط ٣ ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٩٣ م.

الرقيق القيرواني ، أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم (كان حياً سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م)

- ١٩- تاريخ أفريقية والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٠ م .
- الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)
- ٢٠- الأخبار الموثقات ، تحقيق سامي مكي العاني ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٩٦ م .
- ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت بعد ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)
- ٢١- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ١٩٧٢ م .
- الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
- ٢٢- كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ، دمشق ١٩٦٨ م .
- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)
- ٢٣- كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق علي محمد عمر ، ط ١ ، الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ٢٠٠١ م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
- ٢٤- الجامع الصغير ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م .
- الشریف المرتضى ، علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م)
- ٢٥- أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودُرر القلائد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، قم ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)
- ٢٦- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠٠ م .
- ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)
- ٢٧- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- ٢٨- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار ، ط ٢ ، دار

الفكر، بيروت ٢٠٠٢ م.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م)

٢٩- فتوح مصر والمغرب، تحقيق وتقديم علي محمد عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م)

٣٠- العقد الفريد، ط ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩ م.

ابن عذاري، أبو عبد الله محمد المراكشي (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)

٣١- البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروقنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

٣٢- المختصر في اخبار البشر، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت).

ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م)

٣٣- مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥ م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م)

٣٤- الامامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٧ م.

٣٥- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

٣٦- المعارف، تحقيق وتقديم ثروت عكاشة، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

٣٧- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

ابن كثير، أبو الفداء أسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)

٣٨- البداية والنهاية، راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار، ط ١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٥ م.

الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٢ هـ / ٩٦٤ م)

٣٩- الولاة والقضاة ، تحقيق محمد حسن وأحمد فريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م.

المالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٤٥٢ هـ / ١٠٦١ م)

٤٠- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ م.

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

٤١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اعتنى بفهارسه يوسف البقاعي ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت.)

المقري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)

٤٢- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧ م.

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

٤٣- النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تقديم السيد محمد بحر العلوم ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٩٦٦ م.

مؤلف مجهول (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)

٤٤- أخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، مدريد ، ١٨٦٧ م.

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)

٤٥- تاريخ المغرب الاسلامي (وهو الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب) ، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م.

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م)

٤٦- السيرة النبوية ، تقديم وتعليق وضبط طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٥ م.

- اليقوي ، احمد بن ابي يعقوب (ت بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م)
٤٧- تاريخ اليعقوبي ، ط١ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، قم ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م .
ابويوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٠ هـ / ٧٩٨ م)
٤٨- الخراج ، ط٤ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

ثانياً - المراجع :

احمد أمين

- ١- ضحى الاسلام ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

احمد شلبي

- ٢- الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها (وهو الجزء الثاني من موسوعة التاريخ الاسلامي) ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

اشتوي ، أشرف يعقوب أحمد

- ٣- الأندلس في عصر الولاة ٩١-١٣٨ هـ / ٧١١-٧٥٦ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ٢٠٠٤ م .

بطاينة ، محمد ضيف الله

- ٤- الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، دار الكندي ، الاردن (د. ت)

بيضون ، ابراهيم

- ٥- ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

الثعالبي ، عبد العزيز

- ٦- سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) ، تقديم وتحقيق حمادي

الساحلي ، ط١ ، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٥ م .

جاسم صكبان علي

- ٧- دراسات في التاريخ العربي من خلافة ابي بكر حتى سقوط الدولة الأموية ، طبع بمطابع

جامعة الموصل ، ١٩٨٥ م .

جب ، هاملتون

٨- دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس وآخرين ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

الجنحاني ، الحبيب

٩- دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي ، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

جودة ، جمال محمد داود محمد

١٠- العرب والأرض في العراق في صدر الاسلام ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، عمان ، ١٩٧٩ م .

حاتم ، نوري

١١- زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت (عليهم السلام) ، ط٢ ، الغدير للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

حتي ، فليب وآخرون

١٢- تاريخ العرب (مطول) ، ط٤ ، دار الكشاف ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

الحديثي ، قحطان عبد الستار

١٣- أرباع خراسان الشهيرة دراسة في أحوالها الجغرافية والادارية والاقتصادية حتى نهاية القرن الرابع للهجرة ، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر ، جامعة البصرة ١٩٩٠ م .

حمادة ، محمد ماهر

١٤- الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر الأموي ، دار النفائس ، بيروت ، (د.ت) .

الخضري ، محمد

١٥- محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية - الدولة الاموية ، تحقيق الشيخ محمد العثماني ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (د.ت) .

دكسن ، عبد الأمير عبد

١٦- من سمات العصر الأموي وملامحه العامة ، بحث في كتاب دراسات تاريخية مهداة الى عبد العزيز الدوري ، من منشورات الجامعة الأردنية ، عمان (د.ت) .

الدوري ، عبد العزيز

١٧- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٨- النظر الإسلامية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٠ م .

أبوديالك ، صالح محمد فياض

١٩- الدولة الادريسية الهاشمية ودورها السياسي والحضاري في المغرب في عهدي الأمامين أدريس

الأول وأدريس الثاني ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٤٣) ، السنة (١٦) ، بغداد ، ١٩٩٠ م .

الرواضية ، صالح محمد

٢٠- زياد بن أبيه ودوره في الحياة العامة في صدر الإسلام ، ط١ ، الاردن ، ١٩٩٤ .

زعرور ، ابراهيم وأحمد ، علي

٢١- تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري ، منشورات جامعة دمشق ، ١٩٩٥-١٩٩٦ .

ابوزيد ، علا عبد العزيز

٢٢- الدولة الأموية .. دولة الفتوحات ٤١-١٣٢ هـ / ٦٦١-٧٥٠ م ، ط١ ، المعهد العالمي للفكر

الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

سعد زغلول

٢٣- تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤ م .

سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد

٢٤- آل المهلب في المشرق الاسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية ،

مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ م .

سوادي عبد محمد

٢٥- دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن العاشر الهجري ،

مطبعة التعليم العالي ، البصرة ، ١٩٨٩ م .

سيد أمير علي

٢٦- مختصر تاريخ العرب ، تعريب عفيف البعلبكي ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

شعبان ، محمد عبد الحي محمد

٢٧- صدر الاسلام والدولة الأموية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

صفوت ، أحمد زكي

٢٨- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة - العصر الأموي ، ط١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٣ م .

عبد الحليم ، رجب محمد

٢٩- دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (١٢٥-٤٥٥ هـ / ٧٤٣-١٠٦٣ م) ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الفجالة (د. ت) .

عبد الرؤوف ، عصام الدين

٣٠- الدول الإسلامية المستقلة في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د. ت) .

عبد الواحد ذنون طه

٣١- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي ، ط١ ، دارالمدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .

٣٢ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، ط١ ، دارالمدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤ م .

العبيدي ، عبد الجبار منسي

٣٣- الفتوح العربية - الإسلامية ودوافعها ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١٤) ، بغداد ، ١٩٨٠ .

عطوان ، حسين

٣٤- الموسوعة التاريخية للعصرين الأموي والعباسي ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

العقاد ، عباس محمود

٣٥- معاوية بن أبي سفيان ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د. ت) .

عويس ، عبد الحليم

٣٦- التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس ، ط١ ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ، ١٩٩٤

الغراوي ، سامي الغريزي

٣٧- الزيدية بين الإمامية وأهل السنة - دراسة تاريخية تحليلية في نشأتها وظهورها وعقائدها وفرقها ، ط١ ، دار الكتاب الإسلامي ، قم ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م .

الغربي ، محمد

٣٨- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .

غلوب ، جون باجوت

٣٩- الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق خيرى حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، (د.ت) .

فروخ ، عمر

٤٠- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ م .

٤١- العرب في حضارتهم وثقافتهم الى آخر العصر الأموي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

الفريجي ، علي صدام نصر الله

٤٢- دولة بني طريف البرغواطيين في تامسنا (١٢٢- ٤٥١ هـ / ٧٣٩- ١٠٥٩ م) ، دراسة في أحوالها السياسية والدينية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٨ م .

٤٣- دولة بني مدرار في سجلماسة (١٤٠- ٣٦٧ هـ / ٧٥٧- ٩٧٧ م) دراسة في أحوالها السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م .

فلوتن ، فان

٤٤- السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

فيصل ، شكري

٤٥- المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

قطب ابراهيم محمد

٤٦- السياسة المالية للرسول (ص) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

لويون ، غوستاف

٤٧- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٦٩ م

لومبارد ، مورييس

٤٨- الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٨ م .

نويس ، أرشيبالد . ر .

٤٩- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م) ، ترجمة احمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غريال ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (د . ت) .

ماجد ، عبد المنعم

٥٠- التاريخ السياسي للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين) ، مكتبة الوطن للطباعة والترجمة والاستنساخ ، بغداد (د . ت) .

محمود اسماعيل

٥١- الادارة (١٧٢ - ٢٧٥ هـ) حقانق جديدة ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١ م .

٥٢- الحركات السرية في الاسلام (رؤية عصرية) ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٥٣- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط ٢ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ .

المصري ، جميل عبد الله

٥٤- أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ، ط ١ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٩٨٩ .

مصطفى ، شاكر

٥٥- الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٩٠ م .

٥٦- موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

الموحي ، عبد الرزاق رحيم صلال

٥٧- حقوق الانسان في الأديان السماوية ، تقديم سعدون محمود الساموك ، ط ١ ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٢ م .

مؤنس ، حسين

٥٨- فتح العرب للمغرب ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، مصر (د. ت) .

ناجي حسن

٥٩- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي ، ط١ ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد

، ١٩٨٠ م .

الناصرى ، احمد بن خالد

٦٠- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، (د. م) ، (د. ت) .

نصر الله ، سعدون عباس

٦١- دولة الأدارسة في المغرب - العصر الذهبي (١٧٢-٢٢٣ هـ / ٧٨٨-٨٣٥ م) ، ط١ ، دار

النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ .

الورداني ، صالح

٦٢- السيف والسياسة في الاسلام - الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الأموي ، ط١ ، دار

الرأي ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

الوردي ، علي

٦٣- منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته ، ط١ ، منشورات سعيد بن جبير ، قم ،

، ٢٠٠٥ م .

٦٤- وعاظ السلاطين ، ط١ ، دار الحوراء ، بغداد ، ٢٠٠٥ م .

اليوزيكي ، توفيق سلطان

٦٥- دراسات في النظم العربية والاسلامية ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل

، ١٩٧٧ م .